" بسم الله الرحمن الرحيم "



المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية
المعهد العالي للدعوة
الاسلامية
قسم الدعوة والاحتساب

" الأخوة الاسلامية فى الكتاب والسنة "

بحث

للطالب بالمعهد

" عبد الله بن فائز بن عبد الله الشهرى "

السنة الرابعة

للعام الجامعي ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ

اشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الخالق ابراهيم اسماعيل
الأستاذ المشارك بالمعهد

* * * *

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" مقدمة "

الحمد لله القائل (انما المؤمنون اخوة ..... الآية)[1] والصلاة والسلام على رسوله محمد الذى قال الله فيه : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم[2]) وعلى آله الذين قال الله فيهم : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا[3]) وعلى صحبه القائل فيهم : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم[4] ....) الآية ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين والقائل فيهم : (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم[5]) .

أما بعد : فان الأخوة الاسلامية جعلها الحق تعالى رباطا متينا يجمع بين قلوب المؤمنين ويؤلف منها وحدة متكاملة متجانسة ينبنى عليها وحدة الأمة كلها وعزها ورفعتها فهى كما نلاحظ من سياق الكتاب والسنة أقوى من أخوة النسب لقيامها على وحدة المعبود تعالى والايمان بكل ماجاء من عنده فى القرآن أو فى الكتب السابقة الصحيحة كما أنها قامت على المشاركة فى الدين والعقيدة واللغة بصرف النظر عن جنس المسلم أو لونه .

فالمتأمل فى أحوال المسلمين الأوائل يجد أنهم كان فيهم أبو بكر الصديق وغيره من العرب بجانب بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى وغيرهم الكل صاروا بالاسلام اخوة متحابين متآلفين متحدين مما جعلهم يشتركون مع الرسول هم واخوانهم الأنصار فى اقامة صرح الأمة الاسلامية الجديدة التى جاهدت تحت راية لااله الا الله محمد رسول الله فسادت الدنيا ونشرت الحضارة فى أرجائها .

(1) سورة الحجرات : آية ١٠
(2) سورة التوبة : آية ١٢٨
(3) سورة الأحزاب : آية ٣٣
(4) سورة الفتح : آية ٢٩
(5) سورة الحشر : آية ٩

من أجل ذلك اخترت أن يكون موضوع بحثى هذا هو " الأخوة في الاسلامية في الكتاب والسنة " لعل الله أن ينفع به بنى الاسلام اليوم فيعودون الى تحقيق الأخوة الحقة فيما بينهم على النحو الذى أراده الله وبينه رسوله الكريم وبذلك يخرجون من واقعهم المؤلم المتمثل فى التفرقة والتمزق ، الأمر الذى أطمع أعداءهم فيهم وجعلهم يجترؤن على النيل منهم لما لمسوه من تفرقة وضعف واختلاف بين أبناء الأمة التى وصفها الله بأنها خير أمة أخرجت للناس وذلك لأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وايمانها بالله الواحد القهار .

وقد قسمت البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فتشمل سبب اختيار الموضوع وعرض عام للبحث ، وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن أمرين الأول منهجى فى البحث والثانى تعريف الأخوة الاسلامية وما يراد بها فى مجال بحثى هذا .

والفصل الأول جعلت عنوانه مواصفات الأخوة الاسلامية وتحدثت فيه عن أهم مواصفات الأخوة الاسلامية ومنها :

الايثار والمواساة ، التراحم والحب ، الموالاة فى الله ، الشورى والتناصح ، التفاضل بالتقوى ، حب الخير من الأخوة لبعضهم .

والفصل الثانى : وعنوانه " الحقوق الأخوية " (الضروريات الخمس) :

١ - حفظ النفس ٢ - حفظ العقل ٣ - حفظ الدين

٤ - حفظ العرض ٥ - حفظ المال .

أحاديث فى معنى الحفاظ على الأخوة .

أما الفصل الثالث : فعنوانه " خصائص الأخوة الاسلامية " وتتمثل هذه الخصائص فى فقرتين هما : الأولى : استمرار الأخوة الاسلامية وعدم انقطاعها . والثانية : كمال الأخوة فى الجنة ، وأما الخاتمة : فقد تناولت فيها نتائج البحث التى توصلت اليها .

وبالله التوفيق وعليه التكلان لا ش

تمهيـــد :

ويشمل خطتي في البحث والتعريف بالأخـــوة :

أولا : خطـة البحث :

١ - قمت بجمع الآيات التي ورد فيها ذكر الأخوة أو الاشارة الى شيء من ذلك .

٢ - النظر في أقوال المفسرين حول تلك الآيات في كتب التفاسير للوقوف على ماذكروه من تفسير وشرح لآيات الأخوة .

٣ - بعد النظر فيما قاله العلماء أتبع ذلك بتعبيري الخاص حول الموضـــوع نفسه كرأي لي حول الموضوع الأخوي .

٤ - قمت بجمع الأحاديث الصحيحة التي تحدثنا عن الأخوة أو تشير الى شـــيء من ذلك .

٥ - شرحت تلك الأحاديث مستلهمـاً أقوال علماء الحديث حول الأخـــوة الاسلاميـــة .

٦ - وضعت الآيات بين أقواس منبها عليها بالهامش الى السورة ورقم الآية .

٧ - وكذلك الأحاديث وضعتها بين أقواس وأشرت الى مراجعها .

٨ - وضحت نسبتها للمراجع واسم المؤلف ورقم الطبعة وتاريخها ان وجـــد وذلك لتسهيل الاطـلاع .

٩ - فضلت الايجاز غير المخل حرصاً على عدم الاطناب الممـل .

ثانيــا : تعريف الأخوة والمراد بها في هذا البحث :

الأخوة في اللغة لها عدة اطلاقات مع المفرد ومع الجمع ، فمع المفرد يقــال الأخ والأخ مشددا وبدون والمراد به من النسب والصديق والصاحب .

وتأتي بالجمع - اخوان وأخوان بالكسر والضم ، واخوة وأخوة بالكسر والضــم وأخــوة[1].

أما الأخوة كما نفهم من الكتاب والسنة قد تأتي بمعنى التودد والرحمة والحب والصفاء ، والمراد بها في هذا البحث اخوة الايمان ، الايمان بالله عز وجل حيث حيث اتفقت المقاصد حول مبدأ واحد هو عبادة الله وحده لا شريك له و لا تحــاد المبدأ صارت النفوس ، كالجسد الواحد الذي يعمل ككل فهو جزء لا يتجزأ عن بعض واذا تأثر عضو تأثرت معه جميع الأعضاء بلا انفراد فهي أقوى من أي رابطة أخــرى لصحة المقصد وسمو الهدف وطهارة النفوس كما أشارت الى ذلك أحاديث الرســول صلى الله عليه وسلم ، كما يأتي في البحث اباذن الله تعالى .

(١) القاموس المحيط ج ١ / ١٢١ .

الفصـــــل الأول مواصفات الأخوة

الأخوة الاسلامية فى الكتاب والسنة لها مواصفات كثيرة منها :

أ ـ الايثـــار والمواســـاة :

أولا : من القـــــــرآن :

الايثار مصدر وفعله آثر أى آثر غيره على نفسه والمواساة مصدر وفعله يواسى أى شارك غيره فى شئونه[1] .

ومعنى الايثار تفضيل الانسان غيره على نفسه تكرما وسخاء ،والمواساة أن يواسى انسان انسانا فيما يصيبه من المصائب ونحوها وهاتان الصفتان من الخلق الكريم وقليل من الناس من يفعلها لأنها تبنى على كرم النفس وقوة الثقة بالله سبحانه ولما كانـــت تعتمد أصلا على اعتماد الانسان على ربه كان أولى الناس بها سلف الأمة الصالـــح حيث حباهم الله بعدة مزايا لم تكن لغيرهم من الناس وشهد لهم القرآن بذلك كمـــا يأتى باذن الله فى أثناء هذا البحث فقد اختارهم الله تعالى لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ،وتلقوا معـــه من أول الأمـــر فى أعبـاء الرسـالة سواء فى مكـــــة أو فى المدينة الشىء الكثير وبتوفيق الله وعونه ثبتهم مع نبيـه فى مواطـــن كثـيرة وهم فيها قلة وعددهـــم كثرة فأقروا عين نبيهم بصدق اللقـاء مع العـدو وبالوفـاء مع نبيهـــم فى العهود .

وهنا يختلف مقـام سلف الأمة مع نبيها ومقام بنى اسرائيل مع موسى فقد أعيـو موسى وأتعبوه فى أكـثر من موقــف ،فقد طلب موسى منهم الدخول الى الأرض المقدسة فاعتذروا اليه بأنهم لا يستطيعون لقاء العدو ولكن بامكانه أن يذهب هو وربه لقتال العدو ويجلسون هم مع الخوالف الى الفراغ من المعركة بين موسى وعدوه ثم يذهبـــون معـــه

---

(١) المعجم الوسيط جا/ ٥

الى الأرض المقدسة ، قال تعالى فى شأن موسى : (ياقوم ادخلو الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا ياموسى ان فيهما قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجو منها فانا داخلون[1]) .

أما سلف الأمة فقد أبدوا من الجهاد والصبر والثبات من أول يوم قالوا فيه لا اله الا الله والتى دخلوا بها الاسلام الى أن أظهر الله دينه فقد اضطهدوا فى مكة وشردوا الى الحبشة ثم الى المدينة وتلقوا هذا البلاء بالصبر والثبات قال تعالى :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجو من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله[2]) .

وقوله تعالى : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز[2]) .

قال ابن كثير رحمه الله قال العوفى عن ابن عباس نزلت فى محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس وعروة .

وابن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل وابن حبان وقتادة وغيرهما هذه أول آية نزلت فى الجهاد واستدل بهذه الآية بعض السلف على أن السورة مدنية وقال جرير حدثنى يحيى بن داود الواسطى حدثنا اسحاق بن يوسف عن سفيان عن الأعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن فانزل الله (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا[2]) الآية ، قال أبو بكر فعرفت أنه سيكون قتال وقال ابن عباس هي أول آية نزلت فى الجهاد (وان الله على نصرهم لقدير) أي هو قادر على نصرهم من غير قتال ولكن يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم فى طاعته كما قال تعالى (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض[3]) قال ابن عباس : وان الله على نصرهم لقدير وقد فعل وانما شرع القتال فى الوقت

---

(١) سورة المائدة : آية ٢١- ٢٢ .   (٢) سورة الحج : آية ٣٩- ٤٠ .

(٣) سورة محمد : آية ٤ .

المناسب له لأنهم في مكة قلة مكثرة عدوهم فالقتال معهم آن ذاك شاق بدليل أن الأنصار طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم عند بيعة العقبة حرب أهل منى فقال انى لم أومر بهذا فلما تمادى المشركون وأخرجوا الرسول بعد همهم بقتله وشردوا المسلمين الى الحبشة والمدينة ،فلما استقروا بالمدينة ولحق بهم الرسول صلى الله عليه وسلم والتفوا حوله شرع لهم الجهاد (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) أى ليس لهم اساءة الا قولهم ربنا الله (ولينصرن الله من ينصره) ومثل قوله : (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم[1]) ا.هـ بتصرف جـ ٢/٢٢٥ .

فمن الآيات السابقة وشرحها يتضح لنا : تمادى أهل الباطل في غيهم غير معتبرين أو خائفين مع أن الرسول عرف لديهم من قبل بالصدق والأمانة ولكن الشقوة تحكمت والعصبية للباطل هيمنت فأبوا الا عداوة الحق حتى لو ظهر أمام أعينهم مثل الشمس ،قال تعالى (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[2]) وكما قال الله في شأن فرعون وقومه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا[3]) فالفريقان فرعون وقومه وقريش كلاهما تيقنوا وعلموا أن أنبياء الله صادقون ولكن حب السيطرة والعصبية أبت عليهم الاعتراف والاذعان وصبت قريش غيظها على المسلمين ظلما وعداء مما اضطرهم الى الهجرة الى جوار اخوة لهم في الاسلام وقد تشوق أهل المدينة الى قدوم اخوانهم ،قال تعالى : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[4] . . .) الآية .

قال الامام الألوسى في تفسيره ،والذين تبوءوا الدار والايمان على أنها معطوف على المهاجرين والمراد بهم الأنصار والتبوء النزول في المكان ومنه المباءة للمنزل ونسبته الى الدار والمراد بها المدينة وأما نسبته الى الايمان فباعتبار جعله مستقرا

(١) ابن كثير جـ ٣/٢٢٥
(٢) سورة الأنعام : آية ٣٣ .
(٣) سورة النمل : آية ١٤
(٤) سورة الحشر : آية ٩ .

ومستوطنا على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية والتعريف في الدار للتنويه كأنها الدار التي تستحق أن تسمى دارا وهي التي أعدها الله لهم ليكون تبوؤهم اياها مدحا لهم (من قبلهم) بمعنى أن الأنصار آمنوا قبل هجرة المهاجرين لأنهم سبقوا المهاجرين في أصل الايمان - يحبون من هاجر اليهم - قال في الكلام كناية عن مواساتهم لهم وعدم استثقالهم لهم أثناء حاجتهم اليهم أو أن الكلام على ظاهره أنهم يحبون من هاجر اليهم لحبهم الايمان الذين هم متصفين به أيضا ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، أي ليس في قلوب الأنصار أي حسد اذا صار بأيدي المهاجرين نصيب من فيء أو غنيمة حصلوا عليها ويؤثرون على أنفسهم ، يؤثرون المهاجرين في الطيبات مما يحتاجون[1] ا.هـ .

ونحن نعلم بأن المنة لله في هداية الخلق فهو الذي يهدي النفوس لرشدها وهو الذي هدى الأنصار للاسلام أولا ولولاه سبحانه ماهتدوا ثم هو الذي أثنى عليهم بهذا الثناء في معاملتهم مع المهاجرين لأنه سبحانه وان كان المنعم أولا وآخرا فهو أيضا الشكور ، أما الأنصار (والعرب) فقد كان أحدهم قبل الاسلام يقتل ولده خشية أن يطعم معه قال تعالى : (واذا الموؤدت سئلت بأي ذنب قتلت[2]) ثم لما جاء الاسلام تحولوا الى حالة استحقوا من جبار السموات والأرض الثناء على جميل صنيعهم حيث خالج الايمان صدورهم فعرضوا دورهم وأموالهم ومزارعهم لاخوانهم المهاجرين بطيب نفس وصدق وعزيمة يبتغون بذلك دورا خيرا من دورهم وأموالا خيرا من أموالهم وبساتين خير من نخيل المدينة ، وهي اخوة الايمان الصادقة وليست أخوة الدم واللون واللغة فكل ذلك ماعليه بأهله الا وهن على وهن أماني كاذبة تخونهم عند اشتداد الأمور وتتفاءل عند معضلات الزمن فتكون سرابا يحسبه الظمآن ماء فاذا جاءه فاذا هو بأرض يابسة هي أحوج منه الى الماء ، وتأكيدا على مانقول علينا أن ننظر الى بقية الانتماءات غير الاسلامية الراهنة نلاحظ حقيقة مانقول بجلاء .

---

(١) تفسير الالوسي جـ ٢٨ / ٥٢

(٢) سورة التكوير : آية ٨ ، ٩

ثانيا : من السنة :

لما قدم المهاجرون المدينة قدموا وتركوا أموالهم في مكة هربا بدينهم ونصرة الله ولرسوله كما حكى ربهم عنهم وقد أفاض الله هدايته على الأوس والخزرج فهداهم للاسلام فتلقوا اخوانهم المهاجرين بقلوب مفعمة بالحب والاخاء وعند ذلك رأى الأنصار أن من حق اخوانهم في الاسلام أن يواسونهم فيما يملكون فعرضوا ذلك عليهم بيد كريمة لم تمد شيئا وترجو رجوعه الا من الله وقد عالج الرسول الوضع في المدينة ورأى أن يضع خطة مضمونها أن يجعل الرابطة بين المهاجرين والأنصار أقوى ما يمكن ،كما يريد العمل من المهاجرين الى جنب اخوانهم الأنصار فينسون الغربة ويقاسمون الأنصار التعب الى غير ذلك من المصالح فآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار أخوين أخوين نقتصر من الحديث عن المؤاخاة عموما على اخوة اثنين منهم هما عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع .

أخرج الامام البخاري[1] قال حدثنا اسماعيل بن عبد الله قال حدثني ابراهيم ابن سعد عن أبيه عن جده قال لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال سعد لعبد الرحمن اني أكثر الأنصار مالا فاقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما اليك فسمها لي اطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها قال : بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع الخ[2] ~~جـ٧/٢~~١ .

هذا الكلام من سعد لعبد الرحمن قبل آية الحجاب التي نزلت بعد الهجرة بوقت ،أما هذا العرض من الأنصاري الكريم بنصف ماله واحدى زوجاته لانسان ليس بينه وبينه قرابة دم أو أي شيء آخر .

---

(١) البخاري جـ ١١٢/٧ .

(٢) البخاري جـ ٧/ [illegible]

فانما تدلنا على أن أخوة الاسلام شأنها عظيم عند من عرف حق الأخوة كما أراده الله تعالى وأراده رسوله صلى الله عليه وسلم ،وكما فعله الأنصار مع المهاجرين اخوانهم في الاسلام حيث أن هذه الأخوة استلت من النفوس الشح والبخل وعلت بها الى مفاهيم حقيقية لولا الاسلام ماعلموا تلك المعاني ومن تلك المعاني الشريفة التي وردت على تصورات الأنصار أن الدنيا عرض زائل وان الله يريد أن يرى من عباده المؤمنين همماً أعلا من الركود الى هذا العرض وأن يتخذوا ما أعطاهم الله من الحظوظ الدنيوية وسيلة الى هدف أعظم رفعة عنده سبحانه وتعالى فسارعوا الى ذلك بطيب نفس وصدق عزيمة غير خائفين من الفقر الذي يعد به الشيطان الانسان ليوقف عزمه ويثبط سيره قال تعالى: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)(١).

أما المهاجرون فانهم كرماء النفوس لا ينتهزون كرم الأنصار ليسحبوا منهم ماجادوا به عليهم متطلعين الى العطاء أكثر لا ليسوا كذلك ولا المؤمن يكون مع أخيه مجحفاً كذلك لأن نفس المؤمن كريمة وشريفة تطلب الفضل من صاحبه الذي لا تغيض خزائنه سبحانه وهو القادر على سد حاجات ذوي الحاجات ولا شك أن هذا الاتجاه من المؤمن الى خالقه دون سواه يزيد في منزلته عند ربه لعلو همته ولاعترافه بأنه محتاج اليه وحده دون سواه وهناك يتولى الله شؤنه ويرزقه من حيث لا يحتسب وهذا مافعله المهاجرون مع اخوانهم الأنصار أثنوا عليهم خير الثناء غير متطلعين الى أموالهم شاكرين لهم افساحهم لهم في الدار وتأييدهم للدعوة الاسلامية ومشاركتهم في ذلك بما يستطيعون فاتحدت الهمم العالية لدى المهاجرين والأنصار جميعا وأدى كل واحد منهم الواجب الأخوي فكان سعي الجميع مشكورا عند الله تعالى وبصدقهم مع الله واخلاصهم فيما بينهم فعلوا الكثير في الوقت القصير وان لنا فيهم أسوة حسنة ـ فهل من مدكر .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٨ .

ومثال آخر يتمثل فيه عظيم أخوة الايمان حيث تؤدي الى تفضيل الأخ في الله تعالى على النفس والولد والزوجة جميعا لا على المساواة فحسب - ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أصابني الجهد فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال عليه الصلاة والسلام ألا رجل يضيف هذا الرجل الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار وفي رواية فقال أبو طلحة أنا يارسول الله فذهب به الى أهله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله فقالت والله ماعندي الا قوت الصبية قال اذا - أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئ السراج ونطوي الليلة لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ثم غدا الضيف الى رسول الله فقال لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة وأنزل الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)[1]

فمن الحديث السالف نعلم أن الرغبة فيما عند الله والقرب مرتبط بطاعته وحب الله ورسوله والوفاء الأخوي هي التي حدت بالانصارى الى أن يترك صبيته جياعا ولا يعني أن العاطفة الأبوية لا توجد لديه لابل هو كغيره من الناس يحب أولاده .. ويسعى لكسب قوتهم ويتعب لراحتهم ولكن نفسه الكريمة الشريفة أبت عليه أن يترك أخا له في الاسلام أوشك على الهلاك ولا سيما بعد مااستضاف هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ماطلب الرسول اضافته ودعوته عليه الصلاة والسلام لمن اضافه بالرحمة فرغب الأنصاري عند ذلك في دعوة الرسول له بالرحمة وقدم ضيف الرسول على الصبية غير مكترث ولا بخيل بالطعام وقد حذت حذوه امرأته فلم تنازع زوجها رأيه بل ان رأيهما في حاجتهما الى فضل الله ورحمته هما في خط واحد فعجب الله منهما جميعا دون تفريق لهذا الكرم مع ضيق العيش ولكن كما قال تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون).

---

(١) منهاج المسلم لابي بكر الجزائري ١٤٦ .

ب ـ التراحم والحب

أولا : من القرآن :

الرحمة ميل القلب وحنوه وتودده وتعاطفه[1] ، والحب مصدر وفعله حب ومنه حب القوم بعضهم بعضا والمراد تعاطف القلوب بالرحمة والحب والمودة وتآلفها وهاتان الصفتان تمثلتا على أكمل وجه بين المهاجرين والأنصار واذا قلنا تمثلتا فيهم فليس المعنى أنهما حجزعليهم اذ هي طبيعة الأخوة الاسلامية أصلا والمطلوبة من المكلفين شرعا وهو أن تكون علاقتهم هكذا واذا استدللنا بحياة الصحابة على شيء ما فان المراد أنهم قدوة للسائرين ولا ينبغي لأحد أن يسلك مسلكا غير ذلك فالأخوة الاسلامية هي بدء بالصحابة وختاما بنهاية الدنيا وما نراه اليوم من خلل فليس في الأخوة فحسب؟ .

قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)[2] قال الألوسي : قال ابن عباس المراد بالذين معه هم أهل الحديبية والجمهورعلى أن المراد بالذين معه هم أصحابه عموما ومعنى أشداء جمع شديد بمعنى أن فيهم غلظة وقسوة على أعداء الله تعالى ورحماء جمع رحيم أي فيهم رحمة ورقة لأهل ملتهم وقد ذكر السياق ذكر الرحمة بعد الشدة تكميل واحتراس أن لا يتوهم بأن الوصف الأول وحده هو وصفهم فاتبع بالوصف الثاني فانهم مع كونهم أشداء على الكفار فانه ليس الوصف الوحيد لهم بل هو الوصف لديهم لأعداء الله أما مع أولياء الله فلهم صفة الرحمة والتواضع ومن الأشياء التي نقل القول عنهم فيها تحرزهم من مماستهم للمشركين بأبدانهم أو ثيابهم أو أي شيء آخر .

---

(١) المعجم الوسيط جـ١/١٥١

(٢) سورة الفتح : آية ٢٩ .

أما مع المؤمنين فانهم عند ما يلتقي المسلم بأخيه يبدأه بالسلام وهو الدعاء لـه بالسلامة من كل مكروه ويصافحه وأخرج أبو داود عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذ التقى المسلمان فتصافحا وحمد الله واستغفراه غفر لهما . ا.هـ[(١)] أقر الله هاتين الصفتين للمؤمنين باسلوب الثناء والمدح صفة الغلظة والشدة على الأعداء وصفة الرحمن بالمؤمنين وهو سبحانه الحكيم فيعني أن أسلوب المؤمنين فى قسوتهم على الأعداء والرحمة مع بعضهم هى معاملة فى محلها وليس هذا المسلك تطرفا كما يدعيه إعلام الشرق والغرب اليوم ولكنه المسلك الوحيد لمن كفر بالله الذى لاينبغى أن يكفر به ،قال تعالى (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون[(٢)]) ،وقال : (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون[(٣)]) .

أما حكم الشدة على أعداء الاسلام فهي أمر مطلوب تدل على صدق الايمان كما يدل عدمها على شيء من ممالات الاعداء قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة[(٤)]) الآية ،ومقابل الشدة والغلظة الرحمة وهى من لوازم الأخوة فى الله ومن القرب التى يتقرب بها المؤمنون الى ربهم حسن علاقاتهم مع البعض فاذا أهمل وارتد أهل الاسلام عن أوامر الله فانهم عرضة لقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم[(٥)]) الآية ،قال الشوكانى رحمه الله (يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .

هم أبو بكر ومن معه من الصحابة عند ما حارب المرتدين ولكنه ينطبق على كل من جاء بعدهم من المؤمنين الذين يحاربون الكافرين والمرتدين وقيل المراد بالقوم

---

(١) الألوسى جـ ٢٦/١٢٣
(٢) سورة الصف : آية ٨
(٣) سورة الأنفال : آية ٣٦
(٤) سورة التوبة : آية ١٢٣
(٥) سورة المائدة : آية ٥٤

هم أصحاب أبي موسى الأشعري من اليمن وفعلا كان لهم دور في فتح العراق والشام فيما بعد ا.هـ بتصرف[١] أخبر الله عن القوم الذين يستحقون الخلافة في الأرض بأنهم يحبون الله ويحبهم الله أما من لا يحب خالقه وخالقه لا يحبه فليس بأهل للخلافة بل هو عرضة لسنن الله تعالى حيث لا خير في وجوده بل الضرر حتى في سيادة الكفر اذ بسيادته يهلك الحرث والنسل ويعم الفساد والله لا يحب الفساد واذا مكن الله لدولة الكفر في فترة من الزمن فهي جسم غريب يوشك أن يهلكها الله في أي لحظة من ليل أو نهار (وما يعلم جنود ربك الا هو[٢] .....) الآية (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد[٣]) أما القوم الذين يستبدلهم الرب لو حصل ذلك فلهم عدة صفات الأولى محبة الله لهم ولا يحب الرب تعالى الا من عرف حقه سبحانه وقام بما يجب للخالق على المخلوق عموما ومن تلك الواجبات محبتهم له سبحانه وهو أهل لذلك فهو المنعم لا غيره وله المنة والحمد ومن صفاتهم أنهم فيما بينهم اخوة متحابين فلا غل ولا تشاحن ولا بغضاء وصفهم سبحانه بقوله : (أذلة) أي أن من توادهم وتعاطفهم مع بعضهم كأنهم خدم لبعض فاذا الخادم مخدوما واذا المخدوم خادما بمعنى لا رفعة ولا تكبر ولا نفاق وتصنع ولكنها وشائج الايمان .

أما مع الأعداء فبخلاف ذلك كله فلا رحمة ولا تعاطف ولا مودة ولا ايخاء وقد تقدم الكلام في هذا .

---

(١) فتح القدير جـ ٢ / ٥١

(٢) سورة المدثر : آية ٣١.

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩٧.

ثانيا : من السنة :

أما موضوع التراحم والحب في السنة فقد عنت السنة بهما أشد عناية وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الرحمة وقد وصفه القرآن بذلك فقال تعالى :
(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم[1])
صلى الله وسلم عليه مادام الليل والنهار وأخرج البخاري عن قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى لأدخل في الصلاة فأريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه[2] .

وأخرج أيضا عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما رجل يمشي فاشتد به العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ بهذا مثل الذى بلغ بى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يارسول الله وان لنا فى البهائم أجر قال فى كل كبد رطبة أجر[3] ،وقد أورد البخارى حديث المرأة التى دخلت النار بسبب حبسها للهرة حتى ماتت[3] .

هذا وغيره من الآثار المقصود منها الحض على هذه الصفة الحميدة التى لا يتصف بها مع الايمان الا مرحوم ولا تسلب الا من محروم .

أما ماورد فى الحض على الحب والتودد فأكثر من أن تحصر قوليها وعمليها عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ،أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا فى الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار متفق عليه[4] ،وأخرج مسلم فى صحيحه حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨

(٢) منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى ص ١٥١ .

(٣) منهاج المسلم ص ١٥٠

(٤) رياض الصالحين ص ١٧٦ .

حدثنا شعبة قال سمعت شعبة يحدث عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو لجاره ما يحب لنفسه[١] .

وأخرج أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثني عبد الاعلا بن حماد ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال فاني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه الخ[٢] ، وأخرجا في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . . . الخ[٣] ، ولمسلم قال حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قرئ عليه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن أبي الحباب سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي[٤] .

ما أغلى الايمان وأعزه رأس مال للمرء حتى أن من خسره يود يوم القيامة لو أن له الدنيا لبذلها فداء له وهيهات القبول (للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد[٥]) ومع عظيم شنه جعله الله في متناول من أراده (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم[٦] . . . .) الآية وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة لوجوده فمن وجدها في نفسه

---

(١) مسلم جـ ٢ / ١٦

(٢) مسلم جـ ١٦ / ١٢٤

(٣) رياض الصالحين ص ١٧٦

(٤) مسلم جـ ١٦ / ١٢٣

(٥) سورة الرعد : آية ٧

(٦) سورة الزمر : آية (١٨)

فهنيئا له ومن تلك العلامات على الايمان حب الله ورسوله أكثر من غيرهما وحب أخيه في العقيدة لأجل المبدأ الواحد لهما .

ويكره الكفر كما يكره النار ،ولهذه علامات أخرى منها أن من ادعى الايمان فليس من الضروري صدقه حتى يختبر نفسه هل يحب لأخيه الخير بدرجة أنه يحب له كما يحب لنفسه ،فاذا وجد نفسه كذلك قد سواه كما قال وإلا فلا وعليه الاتمام والعون والتوفيق من الله وما أعظم رعاية الاسلام لاتباعه حيث يربط كمال ايمان العبد بربه بحسن علاقة المسلم مع أخيه وبالتالي فهذا الود والحب الأخوي ثمرته عند الله ،أن يظل المتحابين فيه في ظله في يوم عصيب وشاق جدا ،وقسم آخر يكتب الله لهم محبته كما تحابوا من أجله فيالله العجب ما أسهل الكلفة وما أعظم الجزاء لمن وفقه الله .

جـ - الــــولاة

أولا : من القـــرآن :

الولي : هو النصير والصديق والمعتق[(١)] ، والموالاة هي المناصرة والمــوآزرة والاخاء ، بمعنى أن المؤمنين يتولى بعضهم بعضا في هذه الأمور وغيرها لأن الجميع متفقون حول مبدأ واحد هو افراد الله بالعبادة ، قال تعالى : " والمؤمنــــون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيـــم "[(٢)].

قال الشوكاني رحمه الله : (بعضهم أولياء بعض أي قلوبهم متحدة في التودد والتحابب والتعاطف بسبب ماجمعهم من أمور الدين وضمهم من الايمان بالله وبين أوصافهم الحميدة كما بين أوصاف من قبلهم من المنافقين فقال يأمرون بالمعـــروف وهو كل معروف في الشرع غير منكر ومن ذلك التوحيد وترك عبادة ماسواه وينهـــون عن المنكر أي ماهو منكر في الشرع غير معروف وقيامهم ببقية شرائع الدين) اهـ[(٣)]

في سياق الآيات : يحذر الله المؤمنين أن يتولوا الكافرين وأن من فعـــل ذلك فليس من الله في شيء قال تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء مـــن دون المؤمنين ومـــن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقـــاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير "[(٤)] .

وقال الشوكاني أيضا حدد الله في هذا السياق الموقف الذي ينبغي أن يسلكه المؤمنون في تصرفاتهم التي يحاسبون عليها عنده بخصوص الولاء ، والبراء حيث جعـــل ولاء المؤمنين للمؤمنين اخوانهم في العقيدة كما جعل العداء هو المسلك الـــذي ينبغي أن يعامل به أعداء الله وحذر سبحانه من الخلط بين الأمور فمن والى أعـــداء

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ / ١٠٧١
(٢) سورة التوبة : آية ٧١
(٣) الشوكاني جـ ٢ / ٣٨١
(٤) سورة آل عمران : آية ٢٨

الله أو عادى أولياء الله فليس من الله فى شىء ويستثنى الرب تعالى حالة واحدة هى أن يكون المسلمون فى حالة ضعف فيجاملونهم ظاهرا مع العداء باطنا والبغض لكل عدو لله ويؤكد سبحانه وتعالى كل ماتقدم ويتوعد على عدم الامتثال بأنه ليس من الله من فعل مانهى عنه[1] . ا. هـ بتصرف

زيادة على ماتقدم يبين الله بصورة حية مع المسلمين الأوائل ماينبغى لهم فعله من الولاء والبراء ومع من يصلح هذا وذلك قال تعالى : " ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير[2] " .

قال القرطبى رحمه الله : ختمت السورة بذكر الولاية ليعلم كل وليه ليستعين به أما المؤمنين فهم الأنصار رضى الله عنهم فقد تبوءوا المدينة وآمنوا ثم انضم اليهم النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرون ثم أشار سبحانه الى أن كل من المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض وقال بن عباس : المراد بالولاء فى الميراث حتى نسخ بعد ذلك ثم صار لذوى الأرحام دون غيرهم وقيل ان المراد بالولاء فى النصرة والمعونة وعليه فلا نسخ غير أن هذا الولاء لا يكون لغير المهاجرين بمعنى أن المؤمنين غير المهاجرين لا يستحقون هذا الولاء اذ كان فى مقدورهم الهجرة وما ذاك الا لحاجة اخوانهم فى المدينة الى شد أزرهم من جهة وليخلصوا أنفسهم من المقام مع أعداء الله من جهة أخرى ،لذلك شدد الله على تأكيد الهجرة وبقى حاجة واحدة وهى أنهم اذا طلبوا اخوانكم مساعدتكم على تخليصهم من الأعداء فانه لزاما عليكم ذلك مالم يكن هناك عهد بينكم وبين الاعداء قال تعالى :" وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق[3] . . . الآية " .

---

(١) فتح القدير جـ ١ / ٣٣١ (٢) سورة الأنفال : آية ٧١

(٣) سورة الأنفال : آية ٧١

أكد سبحانه على ضرورة هجرة المؤمنين من بين أظهر الكافرين ومساعدتهم على ذلك اذا لزم الأمر وهو واجب عليكم ذلك لاخوانكم ويستثنى من ذلك اذا كان فيه ميثاق بينكم وبين الأعداء فانه لا يجوز لكم فعل شيئا يخالف الميثاق بمعنى أنكم لا تنصرونهم ولو طلبوا لأن الاسلام لا يعرف الغدر بالعهد فيا لغفلة وتفريط المسلمين فى هذا الواجب فى هذا الوقت حيث أسرى المسلمين عند الكافرين يتهينين ولم يهب الولاة لتخليصهم مع أنه ليس لهم عذر فالمال متوفر والقدرة متوفرة ويستطيعون النكاية بالأعداء فانا لله وانا اليه راجعون ا . هـ بتصرف[1] .

فى سياق الآيات هذه أمر الله عباده المؤمنين أن يقيموا بينهم علاقات الاخاء والمودة وأن يتعاملوا بالنصيحة حتى يكونوا كالجسد الواحد وأن يعاملوا أعداء الاسلام بالعداوة والبغضاء ولا يخلطوا بين الأمرين فانهما لا يجتمعان فى معاملة واحدة مطلقا ومن ظن أن بالامكان الاعتصام بحبل الله والالتزام بشرائع الدين مع موالاة أعداء الله ولو فى جانب من جوانب الحياة لمصلحة ما فان هذا الوهم خاطئ وقد عاتب الله المؤمنين أو بعضهم لما فعلوا بعض ذلك فقال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون "[2].

ثم يقول سبحانه منوها بالأسوة الحسنة : " قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ،كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ،الا قول ابراهيم

---

(١) القرطبى جـ ٤ / ٢٨٩٥ .

(٢) سورة الممتحنة : آية ٢

لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير[1] ".

ثم يقول سبحانه : " لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد[2] " .

واذا كان الله أمرنا بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين فان الكافرين ليسوا على درجة واحدة بالنسبة لعداوتهم للاسلام فمنهم شديد العداوة والسياق السابق يعنيهم ومنهم من بقى على الكفر مع الامساك عن حرب المسلمين أو مضايقتهم وهؤلاء لهم معاملة خلاف الأولين وهى العداوة بقدر يغاير عداوة الأولين قال تعالى :" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين[3] " .

ثم يعود سبحانه فيحذر من الخلط بين الصنفين فى المعاملة فيقول " انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ،ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون[4] " .

أخبرنا الله فى هذه الآيات بأن الكافرين لا يودون لنا الا الكفر وأنهم لو تمكنوا منا لعملوا بنا عمل العدو بعدوه بلا رحمة واذا كانوا كذلك ،فلا ينبغى منا لهم الا مثل مالنا فى صدورهم واذا لم تكن كذلك فقد جنبنا الصواب حتى ولو كنا فوق تصورنا أذكياء لأن الحق شيء واحد وقد دلنا الله عليه فاما معه واما مع الباطل والسفه والضياع كل الضياع فى قوم عرض الله عليهم الخطة الناجحة التى يفوزون بها على عدوهم ثم يتلكؤون عن ذلك متلمسين النجاح وأنى لهم النجاح لو كانوا يعقلون ؟ .

---

(١) سورة الممتحنة : آية ٤
(٢) سورة الممتحنة : آية ٦
(٣) سورة الممتحنة : آية ٨
(٤) سورة الممتحنة : آية ٩

ثانيا : من السنة :

السنة لا تنفك عن القرآن فى أى قضية من قضايا الاسلام بل القرآن يبدأ بالحديث عن القضية وربما أو جزء وترك التفصيل فيها للسنة مثل الصلاة فالقرآن أمر بها مجملا ولم يفصل عدد الركعات والأوقات وجاءت السنة فتولت ذلك بالايضاح والتبيين ولو شاء الله أن يبين هذا التفصيل فى القرآن ليبينه ولكن تركه للسنه ليعلمنا بأنها مصدر تشريع أيضا .

والموالاة وردت فى القرآن فى أكثر من موضع ووردت أيضا فى السنة أخرج الامام مسلم رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم فينهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا الى آخر الحديث (1) .

فاذا كنا اليوم غثاء كغثاء السيل فان الله يخرج من الأصلاب أناساً فيهم الخير كما كان فى سلف الأمة نحن اليوم نقول اذا انتهكت حرمة المسلمين وسلبت ديارهم وأموالهم وشردوا أين هيئة الأمم ومجلس الأمن سبحان الله نذهب الى الأب لنشكوا ابنه ومن ربى الابن وعوده على الفروسية لا بل هو الجبن منا فقط أما الجيل الآتى كما فى الحديث فان الروم يطلبون منهم عدم التدخل فى شئون الغير كما هو ديدننا اليوم فيقولون ليس تدخل فى شئون الغير فنحن المسلمون شئ واحد ليس منا أحد يقال انه غيرنا بل نحن رجل واحد نحن الآتيين من الحجاز واخواننا الذين فى بلاد الشام كلنا جسم واحد فهل يمكن تقاتلكم يد واحدة من ذلك الجسم وتجلس

---

(1) مسلم جـ ١٨ / ٢١

الأخرى لا نقاتل ليس معقولا الا عند الجبناء أبناء الدنيا المفتونين بها أما نحن فلا .

وما أسهل كسر زجاجة الكفر فان ثلث ذلك الجيش يهزمون العدو وحدهم وجائزتهم عند الله أنهم لا يفتنون بعد تلك المعركة في دينهم مع كثرة الفتن آن ذاك حتى يلقوا ربهم عز وجل أما الفارون من تلك المعركة فجزاؤهم سخط الله عليهم أبدا أما الشهداء منهم فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنهم أفضل الشهداء لا الشهداء فحسب .

وأخرج البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب الى آخره ". متفق عليه (١)

وأخرج الامام مسلم في قصة أبي بكر الصديق مع سلمان وصهيب وبلال لما قالوا ما نالت سيوف الله من أعداء الله فقال أبو بكر أتقولون هذا لسيد قريش وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لأن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ... الحديث . (٢)

وهي أحاديث تدل بعموماتها على أن ولاء المؤمن يكون لله تعالى وأن يتولى المؤمنين دون الكافرين لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ويكفي المؤمنين شرفا وعزة أن من عاداهم فقد عادى الله رب الكون كله ومن عاداه الله أهلكه .

---

(١) منهاج المسلم ص ٥٥

(٢) رياض الصالحين / ١٣٤

د ـ الشورى والتناصح :

أولا : من القرآن :

الشورى مصدر من التشاور والأمر الذى يتشاور فيه والمستشار الخبير .(١)

والشورى طلب الرأى الصائب للوصول الى أفضل الأمور وهى سمة من سمات الجماعة المسلمة التى امتدحهم الله تعالى بها والله لا يمدح الا كل محمود وقد دأب على هذا المسلك خيار السلف وكان ركيزة مهمة لولاة الأمر يلجأون اليها عند المعضلات وقد كانوا يرون أن من اللوم والجهل أن يعتقد أحدهم باستغنائه عن الآخرين فى الرأى والمشورة ولما دأبوا على هذا الشأن الاستشارى مقتدين فى ذلك بنبيهم صلى الله عليه وسلم كانت أمورهم ناجحة فى كل وجه سلكوه والوصول الى كل ماأرادوه .

قال تعالى : " والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم "(٢).

قال الألوسى رحمه الله : وأمرهم شورى أى ذى شورى ومراجعة فى الآراء بينهم بناء على أن الشورى مصدر كالبشرى فلا يصح الاخبار لأن الأمر مستشار فيه لا مشاورة الا اذا قصد المبالغة نعم اذا حمل على القضايا المستشار فيها احتاج الى تأويل وفى الآية مدح للتشاور ولاسيما على القول بأن الاخبار بالمصدر وأخرج البيهقى فى شعب الايمان عن أبن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أراد أمرا فشاور وقضى هدى لارشد الأمور وأخرج عبد بن حميد والبخارى فى الأدب وابن المنذر عن الحسن قال ماتشاور قوم قط الا هدوا وأرشد أمرهم . ا . هـ بتصرف(٣).

وبأسلوب آخر أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه فيما يحزبه من الأمور فهذان اسلوبان وردا فى القرآن أحدهما يمتدح الله فيه عباده الصالحين بأنهم أهل شورى لا مستبدين

---

(١) المعجم الوسيط جـ١/ ٥٠١

(٢) سورة الشورى : آية ٣٨ (٣) الألوسى جـ ٢٥ /٤٦ .

برأى فردى وأسلوب آخر يأمر الله المعصوم عن الخطأ بأن يأخذ الرأى فيما يعرض له قال تعالى : " وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله . . . . الآية"[1].

قال الشوكانى رحمه الله - وشاورهم فى الأمر - أى فى الأمر الذى يرد عليك أى أمر كان مما يشاور فى مثله أو فى أمر الحرب خاصة كما يفيده السياق لما فى ذلك من تطييب خواطرهم واستجلاب مودتهم ولتعريف الأمة بمشروعية ذلك حتى لا يأنفه أحد بعد الرسول والمشاورة ترد فيما لا نص فيه وعليه فانه يلزم الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وكذا مشاورة ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح العامة .

وحكى القرطبى على اتفاق العلماء على عزل الذى لا يستشير العلماء[2] . اهـ بتصرف

هذا وقد امتدح الله سبحانه سلف الأمة بعدة صفات منها أن أمرهم شورى بينهم لا يستبد به أحد منهم دون غيره لأن لهم شعورهم الخاص وهو أن كل واحد يرى أن أخيه أفضل منه غير أنهم متفقون على أن الأفضل هو الأتقى وحيث أن التقوى محلها القلب ولا يعلم مافى القلوب الا خالقها وعليه فان كل واحد من الأخوة فى الله يتهم نفسه بالتقصير واذا ذهب كل واحد يتهم نفسه بالتقصير فان هذا الشعور يذبح الكبر ذبحا ويكون مجتمعا كأسنان المشط وتأكيدا على أن الأكمل والأفضل للأخوة فى الله هو أسس الشورى فقد أمر الله نبيه بأن يشاور فى الأمر مع أن الله قادر على أن يدل رسوله على الأمر المحبوب بلا استشارة ولكن ليعلمنا الله كيف نسير فى الحياة فاذا استشار الرسول فغيره أولى وأحوج وفى ذلك من المصالح للفرد والجماعة المسلمة الشىء الكثير فان التشاور يقضى على الأنانية كما يمنع من التسرع الذى يثمر غالبا الندم لمن يركب الأمور عند رؤسها ويأتى البيوت من غير أبوابها فيقع فيما كان باستطاعته تجنبه .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩ (٢) الشوكانى جـ ١ / ٣٩٤

" التناصــــح "

أولا : من القـــرآن :

النصيحة من النصح يقال نصح لفلان المشورة اذا أرشده فهو ناصح وهى نصيحة.(١)

والنصيحة دلالة الخير وارشاده لما فيه صلاحه ،وهى من جوانب التكميل ـــن الأخوة فى الله من بعضهم لبعض لأن الكمال المطلق لله وحده فهو ليس بحاجة الى أحد أما المخلوقين فعلى العكس لا يستغنى أخ عن أخيه فى مجالات الحياة قال تعالى :

" والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحـــق وتواصوا بالصبر ".

قال الألوسى رحمه الله ـ وتواصوا بالحق بيان لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضا بالأمر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع رسله فى كل عقد وعمل ـ وتواصوا بالصبر ـ عن المعاصى التى تشتاق اليها النفوس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليهـــا أداؤها وعلى ما يبتلى الله به عباده من المصائب والصبر المذكور داخل فى الحــــق وذكر بعده مع اعادة الجار والفعل المتعلق به لابراز كمال العناية به ومن كمال العمل الرضى بأمر الله لا العمل فقط . اهـ . بتصرف.(٢)

نأخذ من النص السابق أن الانسان جنس الانسان فى خسار والخسار ضد الفلاح هذا بوجه عام لكن الرب يستثنى من هذا الخبر جنس واحد وسمهم الله بسيما واضحة غير خفية اعترافهم بالله خالقهم خالقا ومعبودا لهم ثم استقاموا على ذلك وأخـــذ بعضهم يشد عزم بعض فى الثبات على السير فى طريق الحق والصبر على تلقى المشاق لأن النفس تميل الى الراحة والخلود فهم يعالجون هذا الطبع البشرى لعلمهم بـأن

---

(١) المعجم الوسيط ج٢/ ٩٢٢

(٢) روح المعانى جـ ٣٠ / ٢٢٨

هذا السلك الأخوى من التناصح هو سبيل الفوز لا غيره .

وكان الحديث فى النص السابق عن الانسان عموما من حيث استقامته أو عدم الاستقامة والنص الآتى خطاب خاص لأمة من الأمم وعليه فغير هذا غير معنى بهذا الخطاب بغض النظر عن مضمون هذا النص .

قال تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[١] . . . . الآية " .

قال الشوكانى حول هذا السياق - كنتم خير أمة - كلام مستأنف يتضمن بيان حال هذه الأمة فى الفضل على غيرها من الأمم وكان قيل تامه أى وجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كنتم فى اللوح المحفوظ وقيل كنتم منذ آمنتم وفيه دليل على أن هذه الأمة الاسلامية خير الأمم على الاطلاق وأن هذه الخيرية مشتركة مابين أولها وآخرها بالنسبة الى غيرها من الأمم وان كانت متفاضلة فى ذاتها بينها كما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم - أخرجت للناس - أى ظهرت لهم ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير أمة مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك ولهذا قال مجاهد انهم خير أمة على الشرائط المذكورة فى الآية وعليه فان تأمرون وما بعده فى محل نصب على الحال أى كنتم خير أمة حال كونكم آمرين ناهين مؤمنين بالله وبما يجب عليكم الايمان به من كتابه ورسوله وما شرعه لعباده فانه لا يتم الايمان بالله الا بهذه الأمور . اهـ بتصرف[٢]

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منقبة يستحق من قام بها أن يوسم بالسداد فى الرأى وعلو الهمة وبعد النظر لأن مضمون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو تفقد أحوال الأخوة فى الله لبعضهم للابقاء على سلامتهم من الشقوة وانتشال من

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ (٢) فتح القدير جـ ١ / ٣٧١

أرست به سفينة الهوى الى قعر المحيطات وتشبهت سيره ليصل الى ساحل السلامة لذلك اثنى الله على الأمة الإسلامية لاعمانها بذلك ولم يثنى على بنى اسرائيل اذ يقول فى شأنهم ذامًا لهم : " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانو لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ".

قال الشوكانى رحمه الله : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل ،أي لعنهم الله سبحانه على لسان داود وعيسى بن مريم أى فى الزبور والانجيل بما فعلوه من المعاصى مثل اعتدائهم فى السبت وكفرهم بعيسى ،قوله بما عصوا ،جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر والاشارة بذلك الى اللعن أي ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر ثم بين سبحانه المعصية والاعتداء بقوله : " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فاسند الفعل اليهم لكون فاعله من جملتهم وان لم يفعلوه جميعا والمعنى انهم كانوا لا ينهون العاصى عن معاودة المعصية أو فعلها ويحتمل أن يكون وصفهم بأنهم قد فعلو المنكر باعتبار حالة النزول لا حالة ترك الانكار وبيان العصيان والاعتداء بترك التناهى عن المنكر لأن من أخل بواجب النهى فقد عصى الله سبحانه وتعدى حدوده والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم القواعد الاسلامية وأجل الفرائض الشرعية ولهذا كان تاركه شريكا لفاعل المنكر ومستحقا لغضب الله وانتقامه كما وقع لأهل السبت بان الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم فى الفعل ولكن ترك الانكار عليهم كما مسخ المعتدى فصاروا جميعا قردة وخنازير ،ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد ،وأخرج عبد الرزاق وابن جرير والترمذى وحسنة ،وابن ماجه وعبد بن حميد ،وأبو داود وابن المنذر وبن أبى حاتم ،وأبو الشيخ والبيهقى عن أبن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أول مادخل النقص على بنى

اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : " لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم الى قوله فاسقون " . ثم قال : "كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا . ا . هـ[1]

في أحد النصين السابقين أثنى الله على قوم وذم آخرين في النص الثاني ففي النص الأول منهما ذكر سبحانه بأن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وبين سبحانه سبب هذه الخيرية التي فضلت بها على غيرها من سائر الأمم وهي ثلاث خصال الأولى الحالة الايجابية فيما بينهم بمعنى أن بعضهم يكمل نقص بعض فالأخ يدفع بأخيه الى الامام في كل معالي الأمور ولا يوافقه على الاسترخاء والخلود لأن الاسترخاء ثمرته الحسرة والندم .

الحالة الثانية أن المُنكَر جسم غريب بينهم لا قرار له ولا مقام فاذا وجد طورد كما يطارد اللص حتى يلفظه الموج خارج محيط الأخوة الاسلامية ~~والحالة الثالثة~~ :

الحالة الثالثة : الجمع بين العمل والاعتقاد فهم آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر في حالة كونهم يؤمنون بالله وبوجوده ، وأنه يثيب على العمل الصالح ويعاقب على السيئات فأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ليس لأي سبب سوى اصلاح حالهم في دار العمل والثواب عند الله في المنقلب بهذه المقاصد العالية استحقوا الثناء والتفضيل .

أسأل الله أن يجعلني ومن نظر في هذه السطور منهم .

---

(١) الشوكاني جـ ٢ / ٦٦

أما النص الثاني المتضمن للشتم الموجه للكافرين من بني اسرائيل فقد استوجبوا هذا الذم والطرد لاخلالهم بالأمر نفسه أي أنهم عصو ربهم ففعلوا مانهاهم عنه وحرم عليهم أشياء فاعتدوا فيها ثم ازداد الأمر فظاعة فيهم اذا فعلوا هذه الأشياء يفعلونها وكأنها مباحة غير محظورة فلا يأمرون بطاعة ولا ينهون عن معصية فاستوجبوا من الله اللعن لتناسيهم أنهم مكلفون ولاعتدائهم على مانهوا عنه مع علمهم بذلك ولسكوتهم عن مرتكبي المنكر أمامهم ولإخلالهم بالواجب الأخوي فان العاصي له حق على أخيه أن يناصحه وينهاه عن مقارفة المنكرات فاذا لم يفعل فمابقي من معاني الأخوة بعد ذلك ؟ الجواب لاشيء يبقى بل اذا قلنا ان الوضع في مثل هذا الشأن انقلب الى خيانة لم نبتعد في ذلك بل هي الحقيقة فجدير بنا أن نأخذ عبرة من حال أمة أهلكها الله بسبب بينه لنا سبحانه فلا نقع فيما وقعوا فيه فيصيبنا ماأصابهم وقد قيل السعيد من وعظ بغيره والله المستعان .

ثانيا : من السنة :

ليس فيه قضية ورد الحد بشأنها فى القرآن الا وطرفها الثانى فى السنة المطهرة فاذا كنا فى الفقرة السابقة بشقيها الشورى والتناصح خصصنا البحث فيهما عن موقف القرآن من هاتين الخصلتين ومدى عنايته بالأخوة وما أشار اليه من الوسائل التى تقوى من ترابط الأخوة فانه بقى أن نرى ماموقف السنة من هاتين الصفتين والرسول صلى الله عليه وسلم أول مطبق للقرآن امتثالا للمأمورات وابتعادا للمنهيات ففى الشورى مثلا كان يستشير أصحابه فى الأمور الهامة ويأخذ بالرأى الصائب وكان يثنى على الشورى ويحض عليها ، أورد ابن كثير فى البداية والنهاية فيما أخرجه البخارى قال حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب الى مما عقل به أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدع على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره هذا فيما يتعلق بالحرب وأخذ الرأى من الأنصار ورأى الأنصار أنفسهم فى ذلك من الأمر بالمضى لما أمره الله سبحانه وانهم سوف يكونون فداء للرسول وللاسلام فمضى الرسول وصدقه الله الوعد ، ومجال آخر استشار فيه الرسول هو البت فى شأن الأسرى ، ذكر فى البداية فيما أخرجه مسلم واحمد واللفظ له وساق الحديث الى قوله واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليا وعمر فقال أبو بكر يارسول الله هؤلاء بنوا العم والعشيرة والأخوة وانى أرى أن تأخذ منهم الفداء فيكون ماأخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى يابن الخطاب قال قلت والله ماأرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننى من فلان

قريب له . . . . الخ الى قوله ثم أحل لهم الغنائم[1]

أما عمل المسلمون وبالأخص أهل الحل والعقد بالشورى فقد عمل بها منذ فجر الاسلام على يد الصحابة فقد أخرج مسلم حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سفينة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر[2] .

وأخرج أيضا قال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم جلد فى الخمر بالجريد والنعال ثم جلد أبو بكر أربعين فلما كان زمن عمر ودنى الناس من الريف والقرى قال ماترون فى جلد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف أرى أن تجعلها كأخف الحدود قال فجلد عمر ثمانين[3] .

لاشك أن الخمر حرمت بآية المائدة تحريما مطلقا وبنزول الآية انتهى تعاطى الخمر بصورة وصلت الى ارقتها فى السكك لكن الآية لم تحدد جزاء من وقع فى الشرب كما حددت آية السرقة حد السرقة وآية الزنى حد الزنى وانما اشارة الى الحرمة المطلقة وعندما جئ الى الرسول بالشارب قال الراوى أنه جلده الرسول صلى الله عليه وسلم نحو الأربعين فاستقر عند الصحابة أن حد الخمر أربعين جلدة واستمر هذا الوضع فى خلافة أبو بكر فجلد؟ أربعين لكن لما جاء عمر الى الخلافة رأى وهو الخليفة الراشد أن الوضع قد تغير عما كان عليه فى زمن سلفه وهذا الوضع استدعى النظر من الخليفة وهو اقبال الناس على التمدن وترك البادية ورأى بعض التساهل وعدم الالتزام فى هذه الناحية فأحب أن يأخذ الرأى فيها بمعنى أنه لم يقدم على البت فى هذه

---

(١) البداية جـ ٣ / ٢٦٣

(٢) مسلم جـ ٥ / ١٢٥

(٣) مسلم جـ ٥ / ١٢٥

المسألة دون أخذ الشورى من الصحابة فيمكن أنه قد رأى زيادة حد الخمر قبل أن يشير عليه أحد بذلك ولكن مبدأه الاسلامي وفهمه لما يفعل جعلاه ينظر الى مايقوله غيره في هذا الشأن ولما اجتمع عنده أهل الحل والعقد تبادلوا الرأى ودرسوا الأسباب والمسببات دراسة دقيقة جعلتهم يغيرون مافي صدور الفساق من الميل الى هذه الجريمة اذا كان حدها أربعين جلدة فيقدمون عليها لما يرون من قلة الخطر ، فقاسوا حد الخمر على غيره من الحدود فجعلوه ثمانين كحد القذف .

هذه صورة لدور الشورى بين الأخوة في الله اذ لا غرور شخصي ولا هدف غير ارادة الصواب والذى يتوقع مجيئه من أي واحد من الأخوة فلا يستهان به

وأما موقف السنة من تناصح الأخوة في الله فقد جعله الرسول الدين كله كما ورد في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[1] .

وأخرجا في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصيحة لكل مسلم[2] .

وأخرج البخارى قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن أبي بردة بريد ابن أبي بردة قال أخبرني جدى أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك أصابعه[3] . جـ ١٠/٤٥٠

الآيات التي تقدمت حول التواصي بالحق والتواصي بالصبر ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الأحاديث الكل يعطى معنى على تعذر الأخوة في الله مالم يسير الجميع على هذه التوجيهات وهي توجيهات تضمن للشخص عند الآخرين ما يحب أن يعامل به هو ،هذا ماأراده الاسلام لمجتمعه المسلم ويعني ذلك توفر الراحة النفسية عند الجميع وأمن كل واحد على نفسه وماله وعرضه وتوفير جميع حقوقه الشرعية

---

(١) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائرى ص ٦٩

(٢) رياض الصالحين ص ٩٨ .

(٣) البخارى جـ ١٠/٤٥٠ .

وهذا المجتمع الذى يكون بهذا المفهوم هو فريد من نوعه لأن هـذه الضمانـات الأخوية لا توجد متوفرة فى أى مجتمع آخر واذ وجد بعضها فانه يكون بقوة القانـون الذى يحاحى دون الفرد ولكن حتى لو وجد قانون يفرض حماية الفرد فان حمايـة القانون ليست مثل حماية الضمير وتجارب الزمن قد يما وحديثا واضحة لذى عينين .

فالفوز فى عاجل الأمور وآجلها كامنة فى شرع الله والنكبات والشرور فى الأنظمـة البشرية الضحلـة .

هـ - التفاضل بالتقوى

أولا : من القرآن :

الفضل لغة الزيادة على الحاجة في الأصل[1] ومعناه ما يتصف به الانسان من صفات تميزه عن غيره .

غير أن هذا التفاضل يختلف عند الناس حسب أذواقهم ومعارفهم فالبعض يرى أن الفضل يكون بالحسب والنسب فمن كان من قبيلة كذا وينتمي الى نسب الأسرة الفلانية فهو الأفضل بمعنى أن غيره من الناس أقل منه منزلة بينما يرى البعض أن التفاضل بالمال فمن حازه فهو السعيد المخدوم والسيد المطاع والشريف المبجل .

والبعض الآخر يرى أن التفاضل بالشجاعة والبأس فمن برز في مجلات الوغى ودحر الأعداء فهو الأفضل من غيره ممن لم يقف مواقفه وهكذا تختلف المفاهيم حول هذا المعنى .

غير أنها تبتعد عن الحقائق أكثر فأكثر في الفترات التي لا توجد فيها رسالات سماوية هذه المفاهيم . فربما تصل الحال في بعض المجتمعات الى اعتبار التفاضل في ما مضمونه البعد عن الله والتفنن في ذلك حتى يحوز البعض قصب السبق في ذلك كما حدث من فرعون وأبي جهل وأبي لهب فانهم يتباهون بعداوة الرسل ويعدونها من عزم الأمور " ومن يهن الله فما له من مكرم "[2] .

أما ميزان التفاضل في الاسلام وبين الأخوة في الله تعالى فهو شيء واحد لا ثاني له فمنزلة المرء وقدره ورفعته تكون بمقدار امتثاله لأوامر الله والوقوف عند حدوده ومباشرة ما يحل والابتعاد عما لا يحل وتقدير الخالق سبحانه حق قدره فمن استوفى هذه المعاني فهو الأفضل .

قال تعالى : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

---

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ / ٧٠٠

(٢) سورة الحج : آية ١٨

لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير "[1].

قال الألوسي رحمه الله (ان أكرمكم عند الله أتقاكم)قال تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف الحقيقي كأنه قيل ان الأكرم عند الله والأرفع منزلة لديه عز وجل في الآخرة والدنيا هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرأ ابن عباس أن بفتح الهمزة على حذف لام التعليل كأنه قيل لما لا تتفاخرون بالأحساب فقيل لأن أكرمكم عند الله تعالى أتقاكم لا أنسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بها . اهـ[2].

ومع العلم بأن خير هذه الأمة هم الذين حملوا تبليغ الرسالة عندما كانت الدنيا كالليل الحالك من ظلام الجهل والفساد حتى أظهر الله على أيديهم دينه فهم أفضل ممن لم يعمل كما عملوا وكذا من بعدهم ممن اقتدى بسيرهم هو أفضل ممن لم يكن كذلك .

قال تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم "[3].

قال الشوكاني رحمه الله ،والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ،لما ذكر أصناف الأعراب ذكر المهاجرين والأنصار وبين أن منهم السابقون الى الهجرة وأن منهم التابعين لهم وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأه (والأنصار) بالرفع عطفا على (والسابقون) وقرأ سائر القراء من الصحابة فمن بعدهم بالجر قال الأخفش الخفض في الأنصار الوجه لأن السابقين منهم يدخلون في قوله (والسابقون) وفي الآية دليل على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الذين صلوا الى القبلتين في قول سعد بن المسيب وطائفة والذين شهدوا بيعة الرضوان

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣

(٢) روح المعاني جـ ٢٦ / ١٦٣.

(٣) سورة التوبة : آية ١٠٠

وهى بيعة الحديبية فى قول الشعبى أو أهل بدر فى قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها وأفضلهم الخلفاء ثم الستة الباقون ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل الحديبية ا.هـ [(١)].

بين الله فى النصين السابقين شيئين اثنين الأول أن الله تعالى جعل المجد والفضل كامنين فى طاعته فمن رام ذلك فى غير طاعته فقد غالط مع نفسه وضيع جهده وكفر نعمة ربه لأنه التمس العز عند من لا يملكه لنفسه فضلا عن أن يعطيه لغيره وبهذا فقد شقى من حيث يطلب العز ولو سأل الفضل من مالكه وأتى البيت من بابه لأوشك أن يفتح له الباب ويجد بطاعته المنشودة أما الشىء الثانى الذى بينه سبحانه فى النص الثانى فهو أنه سبحانه يشكر العاملين العاملين حقا لما يجب للخالق على المخلوق ومن كان فى ذلك أسبق كان حائزا على الفضل الأعظم .

لذلك وجدنا القرآن يتحدث عن حملة الرسالة المحمدية أصحاب محمد من مهاجرين وأنصار بأنهم حائزون على قصب السبق فى طاعته وأن غيرهم تبعا لهم فى ذلك فلا تمنيه نفسه أو يفسر له خياله بأنه كواحد منهم ولكن الذى ينبغى أن يتصوره هو أن يتخذهم أسوة له يخطو خطوهم ويقلد سيرهم فلعل الله يكلل سيره بالنجاح اذا صلحت نيته وصدق فى طلب حاجته .

وقد ذكر الله صنفا من التعساء الذين ضل فكرهم حيث ظنوا أن منزلة العبد على حسب ما أوتى من مال وولد وقد أكذب الله من ظن ذلك فقال تعالى " وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ، قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون [(٢)].

---

(١) فتح القدير جـ ٢ / ٣٩٨ .

(٢) سورة سبأ : آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

ان الله جعل الأموال والأولاد زينة الحياة فمن استعمل المال فى طاعة اللــــه فوصل به الرحم وقات به من يعول واستعف به عن الحرام وشكر الله على ما من به عليه من الرزق كان نعمةً فى حقه ومن ربى الولد على طاعة خالقه أوشك أن يكون ولــــدا صالحا ينفع والديه فاذا خرج المال والولد عن هذا المفهوم فانهما نقمة وليسا نعمــة فضلا عن أن يكونا منقبة لصاحبهما.

ثانيـا ، من السنة :

أما حديث السنة عن التفاضل فقد بينت أيضا بأن أكرم الناس وأفضلهم هو أتقاهـم لله تعالى .

أخرج البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال اكرمكم عند الله أتقاكم قالوا : ليس عن هذا نسألـك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله بن نبى الله بن خليل الله ،قالوا : ليس عن هـذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم : قال : خياركم فى الجاهليـة خياركم فى الاسلام اذا فقهوا[1] .

وأخرج البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى[2] .

وقد أخرج البخارى قصة أسيد بن حضير هو وصاحب له لما خرجا من بيـت النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ،فلما خرجا واذا نور بين أيديهما يمشيـان فيه فلما تفرقا تفرق النور معهما[3] .

وأخرج عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى عائشة أم المؤمنين (فضل عائشـة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[4]) .

لاشك أن للعرب بعض الفضائل قبل الاسلام مثل الكرم والجوار ونحوها فـاذا هدى الله سبحانه ذلك الأشخاص الى الاسلام بما معهم من الفضائل وفقهوا فى دين الله فانهم أفضل ممن لا خصال لديه كريمة قبل الاسلام ولا فقه لديه بعد دخولـه فى الاسلام .

أما ان تلك الخصال بمعزل عن الاسلام أو أن ذلك النفر لم يتفقهوا فى ديـن الله سبحانه وهو أصل الفخر ثم يرون أنهم أفضل من غيرهم فهو وهم خاطئ والظـن

---

(١) الألوسى جـ ٢٦ / ١٦٤

(٢) منهاج المسلم ص ٦٥

(٣) منهاج المسلم ص ٦٦

(٤) منهاج المسلم ص ٦٦

شيء والحقيقة شيء آخر والشيء الذي يلاحظ هو أن الشخص كلما كان بالله أعــرف كان لنفسه أكثر انتقادا واتهاما بالتقصير ويرى أن غيره أفضل منه وان لم يكن أفضــــل منه في الحقيقة وبالعكس كلما ابتعد الشخص عن حقيقة الايمان كلما بجل نفسه ورأى أنه الى الفضائل كالريح المرسلة فالمعصوم من عصمه الله والرشيد من الهمه الله الرشد والموفق من حالفته عناية الله سبحانه فلا يتركه مع أحلام نفسه وهواجس هواه ،سيما وشرع الله محفوظ باستطاعة المرء أن يعلم قيمة نفسه من خلال شرع الله أهو على الرطــــب أم على اليابس ؟ .

و - حب الخير من الأخوان لبعضهم وعدم الغل والحقد

أولا : من القــرآن :

تقدم طرف من معانى الحب من المؤمنين لبعضهم وهو هناك بمعنى الوجه التعاملى بين شخص وآخر ، وهذا الحب الأخوى هناك هو أساس الأخوة الايمانية أما الحب الأخوى هنا فهو ذروة ذلك الإخاء المتقدم كما أن الجهاد ذروة الدين وما ذلك الا أن داعى الأخوة فى الله هنا وصل الى حالة تمنى الخير للآخرين من الأخوة الذين قد لا يجمعهم زمن واحد فيتبنى المتأخرون الدعاء لاخوانهم الذين لم يعرفوا وجوههم ولكنهم يعلمون ما نقلوا اليهم من العلم النافع وتوطيد الدين بالجهاد الدائب وتوصيل العقيدة الصافية غير المشوبة فهم يرون أن فضل اخوانهم واحسانهم اليهم يشبه احسان الوالدين بولدهما فيسألون الله لهم الخير الكثير بأن يزيد فى درجاتهم ويعظم لهم الثواب ، فاذا وجد من المتأخرين من يقارن نفسه بمكانة المتقدمين أو يحاول نقد سلف الأمة الأطهار أو ورط نفسه فيما شجر بين الصحابة فتعصب لفريق منهم وذهب به المقام حتى يشتم الفريق الآخر جهلا منه وعدوانا وتعصباً أعمى فليس من الاخوة الايمانية فى شئ لأن الشتائم والسباب من أخلاق أهل النار قال تعالى : " كلما دخلت أمة لعنت أختها ....[1] " .

أما الأخوة فى الله أهل العقيدة السليمة فانهم يعترفون بالاحسان لأهله ولا يورطون أنفسهم فى الفتيا فيما جرى بين الصحابة ولم يكلفهم الله بذلك وانما يترحمون على الجميع بوازع الأخوة فى الايمان أولا ، وثانيا مقابل ما نقلوا من الخير اليهم قال تعالى : " والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انه رؤوف رحيم[2] " .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٣٨

(٢) سورة الحشر : آية ١٠

قال الألوسى رحمه الله فى تفسيره - والذين جاؤ من بعدهم - عطف عند الأكثرين على المهاجرين والمراد بهؤلاء قيل الذين هاجروا حين قوى الاسلام فالمجىء حسى وهو مجيئهم الى المدينة وضمير من بعدهم - للمهاجرين الأولين وقيل هم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة والمجىء اما الى الوجود أو الى الايمان وضمير (من بعدهم) للفريقين المهاجرين والأنصار وهذا هو الذى يدل عليه كلام عمر وكثيرمن السلف كالصريح فيه فالآية قد استوعبت جميع المؤمنين وجملة قول الله تعالى : (يقولون) حالية وقيل استئنافية - ربنا اغفر لنا ولاخواننا - أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم - ولا تجعل فى قلوبنا غلا - أى حقدا وقرىء غمرا (للذين آمنوا) على الاطلاق - ربنا انك رؤوف رحيم أى مبالغ فى الرأفة فحقيق بأن تجيب دعائنا وفى الآية حث على الدعاء للصحابة رضى الله عنهم وتصفية القلوب من بغض أحد منهم وأخرج عبد بن حميد وبن المنذر وجماعة عن عائشة رضى الله عنهما قالت : أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسبوهم ثم قرأت : (والذين جاءوا من بعدهم) واخرج ابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فدعاه فقرأ عليه - للفقراء المهاجرين . . الآية ثم قال هؤلاء المهاجرين أفمنهم أنت قال لا ثم قرأ عليه - والذين تبوءو الدار والايمان - الآية - ثم قال هؤلاء الأنصار أفمنهم أنت قال لا - ثم قرأ عليه : والذين جاؤا من بعدهم - الآية ثم قال : أفمن هؤلاء أنت قال : أرجو قال لا والله ليس من هؤلاء من سب هؤلاء - وقال الامام مالك من كان له فى أحد من الصحابة رضى الله عنهم قول سىء أو بغض فلا حظ له فى الفىء أخذا من هذا الآية وفيها مايدل على ذم الغل لأحد من المؤمنين وفى حديث أخرجه الحكيم الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فى أيام ثلاثة يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع فيها

رجل من الأنصار فبات معه عبد الله بن عمرو بن العاص ثلاث ليال مستكشفا حاله فلم ير له كثير عمل فأخبره الخبر فقال له ماهو الا مارأيت غير أني لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين ولا أحسده على خير أعطاه الله تعالى اياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيقها[1] . اهـ .

ذكر السلف رحمهم الله أن المراد بالقائلين - ربنا اغفر لنا - الآية هم الذين يأتون من بعد عصر الصحابة الى نهاية الدهر فهل يعني أن كل من ادعى الاسلام بعد عصر الصحابة يقولون بلسان الحال - ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ؟ ان الأمة بعد نبيها أصابها ماأصاب الأمم قبلها من التفرق أحزابا وجماعات (كل حزب بما لديهم فرحون)[2] .

بعض هذه الفرق آل بها سوء حظها الى أن تجعل نفسها حكما في تقييم الصحابة رضي الله عنهم الى درجة أنهم يقدمون بعض الصحابة على بعض بلا دليل[3] شرعي ثم يوالون ويعادون على حسب هذا التقسيم ولا يقبلون من شرع الله الا ماجاء عن طريق النفر المرضي عنهم عندهم ولا يقبلون رواية من عداهم حتى ولو كان أحد العشرة المشهود له بالجنة وهذا النوع من أنواع الشيعة والشيعة فرق شتى ، حدا بهم التعصب والجهل الى شفى جرف هار - وهؤلاء الفرق من شيعة وغيرها لا يرجى منهم خير لغيرهم وقد تاهوا بأنفسهم عن جادة الطريق وأهل السنة والجماعة يتحملون منهم شطحات كثيرة لعلم أهل السنة بأن هؤلاء يدورون في حلقة مفرغة من الهوى فهم يحلمون عليهم كما يحلم على غير المميز ولا يحسدونهم الدلالة الى الحق ان طلبوا منهم ذلك بجد بل يحبذون الحوار معهم ويطلبون منهم أن يضعوا أيديهم في أيدي أهل السنة والجماعة ليرتوي الجميع بكتاب الله وسنة رسوله المتواترة

---

(١) روح المعاني جـ ٢٨ / ٥٥

(٢) سورة الروم : آية ٣٢

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي

ويرجعون جميعا بطانا من المصدرين الصافيين العذبين ولكن كما قيل ان بعض الحيوانات ترد على الغدير وهو صاف فلا تشرب حتى تلعب فيه بأظلافها حتى يختلط الماء بالتراب ثم تشرب حتى ترتوى وترجع من عليه بطانا فما أضر الهوى اذ استولى على بصيرة القلب فوجهها كما يحلو له على غير هدى من الله .

أما من المعنى فى قوله تعالى : "والذين جاؤ من بعدهم" الآية - فالمراد أنهم أهل السنة والجماعة الذين لا يقيمون من أنفسهم حكما الى جانب كتاب الله وسنة رسوله وانما يحملون أنفسهم على كتاب الله وسنة رسوله لعلمهم أن العصمة كامنة فى كتاب الله وسنة رسوله وانهما قلعتان حصينتان من ولجهما نجى ومن خرج عنهما أكلته هوام الأهواء فى لمح البصر أو أقرب من ذلك .

قال تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب"[1] . وقال تعالى : " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"[2] . وقال تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"[3] .

هذه النداءات والتوجيهات الربانية أول من تلقاها بعد الرسول الصحابة رضى الله عنهم فحازوا قصب السبق فى تطبيقها فتكونت حياة عمل على أيديهم سواء فيما بينهم وبين الله أو فيما بينهم مع بعض فهل الأفضل اتخاذهم قدوة فى الخير أم يقتدى بأناس يقال فيهم على أفضل الاحتمالات أنهم لم يصحبوا النبى ولم يجاهدوا كما جاهد الصحابة اذ جاء هؤلاء الناس بعقائد مضمونها جفوة بعض الصحابة ، وقد ذكر الله أن خلق المؤمنين التواضع لبعض وليست الجفوة قال تعالى : "أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين"[4] .

وهذا المسلك لا يوجد عند الشيعة مثلا لبقية من يشاركهم فى كلمة الاسلام حتى

---

(١) سورة الحشر : آية ٧ (٢) سورة آل عمران : آية ٣١

(٣) سورة الأحزاب: آية ٢١ (٤) سورة المائدة : آية ٥٤

يشرب بكأسهم العكر وعند ذلك يكسب ود هم الضحل السقيم .

نعوذ بالله من شقاوة الأزل ومن مكر الله وسخطه ولعنه وسوء الخاتمة .

ثانيا : من السنة :

وقد أخرج البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأنصار قوله : الأنصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله[1] .

وكقوله صلى الله عليه وسلم : " خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "[2] متفق عليه .

هذه الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية لسلف الأمة تتصادم تماما مع نظرة غلاة الشيعة التى لا تصون ألسنتها من تجريح مصابيح الهدى من صحابة وغيرهم .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر بأن من أحب الأنصار فحبه لهم علامة على صدق ايمانه ومن أبغضهم فبغضه علامة على فساد باطنه كما شهد صلى الله عليه وسلم بالخيرية للقرون المفضلة على من عداهم ثم يأتى أناس فيوجهون ملاحظاتهم ولومهم لأشراف الأمة غير مكترثين وامعاناً منهم فى الشقوة أنهم يتقربون الى الله بهذه الجفوة لأوليائه بخلاف الفرقة الناجية التى تتقرب الى الله بما تقرب به الرسول وأصحابه الى ربهم وذلك بالسعي المشكور والعمل السديد وما عداه من المسالك فهو أوهام وظنون والظن لا يغنى عن الحقيقة . وبالله التوفيق وعليه التوكل .

---

(١) منهاج المسلم ص ٦٦

(٢) منهاج المسلم ص ٦٧

" الفصـــل الثانـــي "

" الحقـــــــوق الأخويـــــة "

تمهيد :

جاء في اللغة : الحق نقيض الباطل وجمعه حقوق وحقاق ومنه حد يث التلبية حقا حقـــا[1]
وهو الشيء الثابت قال تعالى : " فورب السماء والأرض أنه لحق مثلما أنكم تنطقـــون"[2]
والمراد به مايلزم الأخوة في الله ازاء بعض لاصلاح حالهم ومجتمعهم الاسلامي .

ولكي يمكن وجود الحياة الأخوية وافية غير منقوصة لابد من توفر متطلبات الحيـاة
سواء للفرد أو الجماعة وتلك المتطلبات هي التي جعلها الاسلام حقوقا للأخوة علـــى
بعض ورتب على ضمان استمرار تلك الحقوق وعد ووعيد بعضها عاجل في الدنيــــا
كالحدود والبعض الآخر آجل في الآخرة كل ذلك لأجل عمارة الكون بطاعة خالقه لأنـــه لا
يعمره سواها هذا من جهة ومن جهة أخرى لكي يتعايش الأخوة في الله في حيــاة
آمنة آمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وسلامة عقولهم من التلوث والانحراف وعلـــى
دينهم الذى هو عصمة أمرهم وهذه الأشياء هي التي يسميها الفقهاء بالضروريات الخمس
أى أنها قبل غيرها في ضرورة توفرها لأن بدونها لا يمكن أن تسمى الحياة حياة حقـــا
وكل من هذه الضروريات ورد لها ضمانات في الكتاب والسنة وهذا يعني اهتمام الاسلام
بها وضرورة اتخاذ الحسبان لها في شعور كل مكلف وهذه الضروريات تتضمن وجهان
وجه سلبي وهو طلب المكلف بالابتعاد عن مقارفة شيء مما يخل بتلك الضروريات وهـــو
ما يمكن أن تسميه المحظورات والوجه الآخر وجه ايجابي بمعنى توفير كل ما يشد ويقوى
ضمانات تلك الضروريات وذلك بالاستجابة لنداء الشرع بمراعاة الشعور الأخوى فـــى
كل ذلك وباقامة الحدود على من أخل بشيء من تلك الضروريات الخمس وغيرهــــا

---

(١) لسان العرب جـ ٦٨/١

(٢) سورة الذاريات : آية ٢٣

١ - حفـــظ النفـــس :

أولا : [illegible] من القـــــرآن :

الحفاظ على الأنفس وذلك بالنهى عن قتل النفس وجزاء من قتلها قال تعالى : " ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا "(1) وقال سبحانه فى شأن من تعمد قتل النفـــس المؤمنة البريئة : " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالد فيها وغضب اللـــه عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما "(2) وقال سبحانه وتعالى فى جزاء من قتل النفـــس ظلما وعدوانا بأن يقتص منه : " ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ".

قال فى فتح القدير : ولكم فى القصاص حياة - أى لكم فى هذا الحكم الذى شرعه الله لكم حياة لأن الرجل اذا علم أنه يقتل قصاصا اذا قتل آخر كف عن القتل وانزجـــر عن التسرع اليه والوقوع فيه فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الانسانية وهذا نوع مـــن البلاغة بليغ وجنس من الفصاحة رفيع فانه جعل القصاص الذى هو الموت حياة باعتبـــار ما يؤول اليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضا ابقاء على النفوس واستدامة لحياتها وجعل هذا الخطاب موجها الى أولى الألباب لأنهم ينظرون فى العواقب ويتحاشـــون ما فيه الضرر الآجل وأما من كان مصابا بالحمق والطيش والخفة فانه لا ينظر عند ســـورة غضبه وغليان مراجل طيشه الى عاقبة ولا يفكر فى أمر مستقبل ثم علل سبحانه هـــذا الحكم الذى شرعه لعباده بقوله تعالى - لعلكم تتقون - أى تتحامون القتل بالمحافظة على القصاص فيكون ذلك سببا للتقوى . اهـ بتصرف(3) .

اذا شرع الله حدا لأى كبيرة ارتكبت فينبغى أن تعلم أن الله أراد به عدة مصالح وليست مصلحة واحدة فمثلا حد القصاص وهو أن جزاء من قتل مؤمنا متعمدا فأهـــل المقتول بالخيار النفسى بين أن يقتل من قتل قريبهم وبين أن يأخذوا الدية عوضـــا لهم فى صاحبهم .

أ - فأول فائدة أن يعلم القاتل مصيره بعد القتل فيفكر قبل القتل فيرعوى عما أراد

---

(1) سورة الاسراء ، آية ٣٣ .

(2) سورة النساء ، آية ٩٣ .

(3) فتح القدير جـ ١ /١٧٦ .

لما يعلم من المصير النهائي له ولو كان جزاؤه غير ذلك لهان عليه الأمر لأنه يمكنه العيش بعد ذلك وبامكانه ازهاق نفوسا أخرى فسد الله هذه النافذة على النفوس الشريرة .

ب - ماأعطى الله من الخيار لأهل المقتول بين الابقاء على القاتل وتركه وأخذ الدية وهذا التحكم الذى أعطاه الله لهم يخفف شيئا من لوعة الحزن على قريبهم كما يجعل القاتل كالمملوك المدبر نكاية به .

جـ - عناية الله بالمجتمع المسلم وجعله فريداً من نوعه من حيث طهارته فشرع الحدود الزاجرة بل ووعد سبحانه بالثواب العظيم عند امتثال أوامره سواء فيما يجب له سبحانه على عباده المؤمنين أو فيما يتعلق بالروابط الأخوية المؤمنة فيما بينهم فلم يجعل الرادع عن المعاصي هي الحدود فحسب بل والثواب الجزيل لمن ابتعد بنفسه عنها ابتغاء مرضات الله فاذا عمل الأخوة فى الله بهذا الشعور العالى فيعني أن الحافز على المعالى يكون من داخل النفس المؤمنة وليس لأجل أثر خارجي ولا شك أن الدافع الداخلى أنجح بكثير من الدافع الخارجي لأن الأول يعمل فى السر والعلن بخلاف الثانى فانه لا يعمل الا مادام الأثر الخارجي موجود ،وهذا ماتعانية المجتمعات غير الاسلامية تعمل بقوانينها مادامت مراقبة فاذا غابت الرقابة غاب كل حساب للأخلاق .

ثانيا : من السنة :

حرصت السنة على صيانة الأنفس من ازهاقها بغير حق فبينت الى جانب القرآن فظاعة هذه الفعلة وما يترتب على فشوها من الضوضاء والقلق والاعتداء ـ هذا في الدنيا وأما في الآخرة فانها من كبائر الذنوب وموبقات الأعمال لذلك حذرت السنة من الوقوع فيها أشد تحذير وأوضحت أن الذى سن القتل الأول عليه نصيب من اثم كل نفس قتلت بعده لأنه سن القتل لمن بعده ولم تبح السنة دم المسلم الا من جهات ثلاث أخرج مسلم رحمه الله قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا حفص ابن غياث وأبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث " الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ".(1) حظرت السنة المطهرة على النفس أن يعتدى عليها مطلقا الا اذا خرجت النفس عن دائرة هذا الحمى وهو حرمة دم المسلم ففعلت أحد هذه الأمور الثلاثة فتكون بذلك هى التى أزاحت هذه الحماية الاسلامية عن نفسها واستحقت هذا الأمر الذى عظم على الاسلام أن يراها فيه لولا ماجلبته هى على حالها فان الفرد اذا خرج عن الاسلام فضل بعد الهدى وعمى بعد البصيرة ليس له جزاء على ماصنع الا أن يوارى عن الوجود لعدم الخيرية فيه سواء على نفسه أو مع الآخرين فان الشر منه متحتم ولا بد والخير منه ميؤوس وكذا من فعل جريمة الزنى بعد الاحصان لفظاعة ما ارتكبه وما سعى به من الفساد فى المجتمع الطاهر ومحاولته جعله وسط اجتماعى هابط فكان جزاؤه اراحة المجتمع منه ليأمن الناس على محارمهم وأعراضهم من التلوث والاعتداء وقد جعل الاسلام جزاءه الرجم نكالا به لأن السن قد تقدم به وكان الأولى به مراقبة الله بدلا من الانسياق وراء داعى الشهوة مع ماوصل اليه من الكبر واذا لعب به

---

(1) مسلم جـ ٥ / ١٠٦

الشيطان في هذا السن فلا يؤمن أن يكون آلة شيطانية فالأولى استئصالها من المجتمع وإن كان الحكم في حق الثيب عموما فالسن آكد أما البكر فله حكم آخر

والثالث ممن أبيح دمهم شرعا لدورهم في الهبوط بالمستوى الانساني القاتل لاعتدائه على ازهاق النفوس المحرم ازهاقها ولجلبة اليتم على بعض أفراد المجتمع ولادخاله الرعب على الآمنين فاستحق اراحة المسلمين منه لأن الخير في غيابه لا في وجوده .

وهكذا يحرص الدين على جعل المجتمع الأخوى الاسلامي مجتمعا طاهرا نزيها بعيدا عن الاعتداء بعيدا عن الانسياق وراء الشهواة الجنسية بعيدا عن العقائد الفاسدة للوصول الى الحياة السعيدة الطيبة في الدنيا والفوز في المنقلب لأنه لا يسعد عند الله الا من أخذ بشرعه الذى أنزله على عباده والذى يضمن لهم الخير كله ويبعدهم عن الشر كله .

قال تعالى : " يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ".[1]

---

(١) سورة النساء : آية ٢٨

٢ - حفظ العقل :

أولا : من القرآن الكريم :

الثاني من الضروريات المحافظة على العقل الذى كرم الله به الانسان وفضله به على كثير من المخلوقات والذى به يحاسبه على تصرفاته الاختيارية فحرص الاسلام على سلامته من كل مايلوثه ويعكر صفوه ويعطله عن وظيفته حتى يمكن للمجتمع المسلم أن يعيش بعقلية سليمة غير منحرفة فينال بذلك سعادته وطمأنينته وقد كان هناك مرض اجتماعي قبل الاسلام ضيع وظيفة العقل وجر على الناس الوباء الأخلاقي وعانوا منه معاناة شديدة غير أنهم لم يستطيعوا الخلاص منه كما لم يجدوا بديلا لهم عنه يشغلون به أوقاتهم فهم يذهبون ويروحون في عقل جاهلي صرف فتكونت لديهم حياة عمياء فسد فيها الذوق وانحرفت الفطر وصار الحليم حيران ذلك المرض السائد هو الخمر الذي ضيع العقول والأموال والأوقات والمجتمع المسلم لم يأت الى صورة الكمال دفعة واحدة وانما بتدرج فمثلا هذا المرض الأخلاقي أراد الاسلام تحرير عبودية النفس

له ولكن بطريق الرفق فأول خطوة بين ضرره والخطوة الثانية نهى عن شربه فى أوقات معلومة ولما لمس من النفوس قوة البنية وأن لديها الاستعداد للفطام من هذا الوباء عند ذلك نهى عنه نهيا قطعيا وبهذلك تكون مجتمع طاهر مثالي فى الأخلاق والود والصفاء ولحرص الاسلام على بقاء المجتمع المسلم بهذه الصورة النزيهة شرع حدا يقع على من عاد الى ذلك الوباء الاخلاقى ضمانا لبقاء الحياة الأخوية سعيدة.

وقال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون[(١)] " ؟ .

قال فى فتح القدير فى هذه الآية دليل على تحريم الخمر لما تضمنته الأمر بالاجتناب من الوجوب وتحريم الصد ولما تقرر فى الشريعة من تحريم قربان الرجس فضلا عن جعله شرابا يشرب قال أهل العلم من مفسرين وغيرهم كان تحريم الخمر بتدرج ونوازل كثيرة لأنهم كانوا قد ألفوا شربها وحببها الشيطان الى نفوسهم فأول مانزل فى أمرها " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس " فترك عند ذلك بعض من المسلمين شربها ولم يتركها آخرون ثم أنزل الله "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فتركها البعض أيضا وقالوا لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة وشربها البعض فى غير أوقات الصلاة حتى نزلت هذه الآية : " انما الخمر والميسر" فصارت حراما عليهم حتى كان يقول بعضهم ماحرم الله شيئا أشد من الخمر وذلك لما فهموه من التشديد فيما تضمنته هذه الآية من الزواجر . اهـ بتصرف[(٢)] .

كانت حياة الصحابة حياة علمهم الاستماع لما يقوله الله ورسوله ليبادروا الى فعل المأمورات وترك المنهيات برغبة حتى أنهم يتقربون الى ربهم بالأعمال الصالحة

---

(١) سورة المائدة : آية ٩١ .

(٢) فتح القدير جـ ٢ / ٧٤ .

التى يوحى بها النص بالمفهوم دون أن يصرح به تصريحا ،كما جرى فى شأن الخمر أول مرة فانه لم يحرمها دفعة واحدة ومع ذلك ترك بعضهم شربها لما علم أن القرآن يكرهها وشتان بين مجتمع يبتعد عن محارم الله بنفسه رغبة فيما عند الله من الثواب وخوفا مما عنده من العقاب وبين مجتمع آخر يدفع دفعا عن محارم الله بما وضعه سبحانه من الحدود والزواجر عما نهى عنه ومع ذلك فان رحمته سبحانه بالناس أن جعل تلك الحدود لتقى المجتمع المسلم من التهور اذا كان هناك رادعا هذا من جهة ومن جهة أخرى ان تلك الحدود مطهرة لمن رخصت نفسه فوقع فيما نهى الشرع عنه فالشرع يضع الحمية كما يضع العلاج رحمة بالأخوة الاسلامية من العنت والضياع .

ثانيا : من السنة :

أما حرص السنة على ابعاد المجتمع المسلم عن مواطن الأمراض الأخلاقية فقد عنت بذلك أشد عناية فمنعت أى شىء يؤثر على وظيفة العقل فحاربت السحر والشعوذة وحاربت التطير المعتاد عند العرب وبينت أن تلك الأعمال كما هى عمى للقلب فهى تعطيل للعقل كما وقفت موقف القرآن من تحريم الخمر بل هى التى وضعت الحد الشرعى للخمر لأن القرآن بين ضررها وما تجلب من الأمور الوخيمة أولا ثم أمر بالابتعاد عنها مطلقا دون أن يبين جزاء من تعاطاها بعد التحريم تاركا هذا المقام للسنة كما ترك لها مقامات أخرى تتولى حكمها وهو ايحاء من الله لنا بأن السنة هى مصدر التشريع ،الثانى بعد القرآن أيضا وقد جعلت السنة حد الخمر أربعين جلدة حفاظا منها على بنية المجتمع وتطهيرا لمن لوث نفسه بها بعد بيان منعها أخرج مسلم رحمه الله قال حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو الأربعين قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر[1] حددت السنة أربعين جلدة لمن وقع فى هذا المرض غير أن الصحابة الاطهار رضى الله عنهم لاحظوا أن هذه النكاية بمن عاد لشرب الخمر لم تمنع المتهورين من تعاطيها وخافوا على بنية المجتمع الطاهر أن تتكاثر فيه الأوبئة الاخلاقية فحرصوا على منع ذلك مستلهمين أمر الشورى التى هى طريقة نبيهم من قبل وبعد النظر فى الموضوع استقر الرأي على جعلها ثمانين جلدة مبالغة فى حفظ عقل الأمة سليما لتعيش بعقل نورانى لاعقل شهوانى لأن سعادتها دوما مع الأول وشقاوتها دوما مع الثانى .

---

(١) مسلم جـ ٥ / ١٢٥

٣ - حفظ الدين :

أولا : الدليل من القرآن :

الشيء الثالث من الأشياء الضرورية الحفاظ على الدين لأنه رأس مال الانسان المسلم وبدونه تكون الحياة حياة تعاسة وشقاء ولن تكون هناك أخوة في الله تعالى اذا لم يكن هناك دين ولن يكن هناك دين اذا لم يكن تواصي بالحق وتواصي بالصبر كما أنه لن تكون هناك أمة خير من غيرها اذا لم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومن الأمر بالمعروف الجهاد في سبيل اعلاء لكلمة الله تعالى لنشر دينه في أرضه ومنه الدفاع عن حوزة الدين اذا اعتدى عليه ومن ذلك قتال المرتدين كما فعل أبو بكر والصحابة لما ارتد العرب عن الاسلام فلولا الله ثم الصحابة لحل بالمؤمنين في المدينة الأمر الجلل والبلاء المبين من هنا نعلم ضرورة وجود الحاكم الذي يذب عن الدين فيصلح المجتمع الأخوي واقامتهم على أمر الله وذلك بتعاهده لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنشيط عزمهم على التخلق بمعالي الأخلاق وبالقيام بأمر الله عموما والواجب الأخوي وتأديب من أخل بشيء من ذلك حتى يستقيم أمر الناس كما تجلى ذلك في زمن عمر رضي الله عنه .

وقد استمد عمر رضي الله عنه فعله ذلك من كتاب الله تعالى وقد تقدم في هذا البحث في فقرة وجوب التناصح ذكر الآيات التي تقوي بنية الأمة وتحفظ لها كرامتها وعزها اذا هي أخذت بتلك المضامين القرآنية كما تضمن صلاح ذات البين على الوجه الذي أراده الله مما لا داعي لذكر الآيات مرة أخرى هنا فان هذه الضرورة هنا بحفظ الدين هو عائد في الحقيقة الى تعاون أفراد الأمة مع ولي الأمر وعلى ولي الأمر أن يمنع كل من يلحق بالدين نقص أو يحارب أهل الاسلام ويسعى في الأرض فسادا قال تعالى : " انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم " .

قال الشوكانى : الجمهور على أن المراد بهم العرنيين فقد ارتدوا وفعلوا القطائع وقال آخرون ان المراد بهم المسلمون الذين خرجوا يقطعون الطريق ثم قال ان حمل الحرابة لله معناها الوقوع فى معاصيه ومخالفة شرائعه ومحاربة رسوله والفساد عام فى أى عمل من شأنه الفساد والضرر فى أى زمان ومكان سواء فى مصر أو غير مصر وأن جزاء من فعل ذلك هو ماورد فى هذه الآية من القتل أو القطع للأيدى والأرجل من خلاف أو نفى . ا. هـ بتصرف.(1)

من هنا نعلم ضرورة وجود الحاكم المسلم لأن الخطاب هنا موجه لولى الأمر فانه لا يقوم بهذا العمل غيره من عامة الناس والاتخاذ المؤمنون أميرا لهم ليقيم أحوالهم ويتفقد مصالحهم ويذب عنهم هو من اصلاح أمرهم وكياسة رأيهم ومن شعورهم فعلا بالمسئولية التى ليس لهم بد أمام الله سبحانه منها وهذا ماسارع اليه الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بعد موت الرسول مباشرة ولم يدفن جسمه صلى الله عليه وسلم بعد لفهمهم الراسخ العميق بخطر الموقف وفظاعة الحال لو تأخروا قليلا لأن الشيطان آن ذاك يركض من بيت لبيت ومن شخص لآخر لفصم كلمة المسلمين وتضييع جهادهم ودأبهم ولكن الخبيث لم يتمكن آن ذاك وانما تمكن على يد ابنه عبد الله بن سبأ اليهودى فحزب على الخليفة حتى قتل وجعل الأمة بعده رجلين يضرب كل واحد منهما وجه صاحبه بسيفه الى يوم القيامة .

(1) فتح القدير جـ٢/٢٥

ثانيا : من السنة :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم عمل أول الامر على ايجاد المجتمع الطاهر من الشرك والمعاصى عموما حتى اذا انجز الله له هذا الأمر أخذ يتفقد ذلك المجتمع فيزيل ماتخلله من الهفوات فحاربها باقامة الحدود الشرعية منعا للمجتمع من الرجوع الى الوراء وتطهيرا لتلك النفوس التى تلوثت بتلك المعاصى لأن الحدود مكفرات لأصحابها مما وقعوا فيه من المعاصى كما حارب المرتدين عن الاسلام حماية لحوزة الدين .

أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس أن نفرا من عكل قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فقتلوا راعيها واستاقوها فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبهم قافة فأوتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم يحسمهم وتركهم حتى ماتوا .(1)

وليس لمن فارق الدين وأخاف الناس بالسلب والنهب والاعتداء بالقتل الا هذا العلاج وهم خليقون به لأن من دخل الاسلام وعلم أن مصيره اذا رجع الى حوزة الشيطان القتل واذا علم السارق أن مصير يده التى انتهبت مال الغير الى القطع وعلم القاتل أن مصيره الى القتل اذا قتل ارتدع الناس عن تعاطى مثل ذلك فاستقام أمرهم وصلح حالهم وعاش المسلمون فى أمن وأمان واحترم الآخرين حتى من ليس لديه استعداد للاحترام خوفا من المصير الذى يؤول اليه اذا فعل شيئا من ذلك.

---

(1) فتح القدير جـ ٢ / ٣٧ .

٤ ـ حفظ العـــــرض :

أولا : من القـــــرآن :

الأمر الرابع من الأشياء الضرورية توفير الأمن على الأعراض وهي ناحية مهمـــة من نواحي حياة المسلم ولا تعتبر الحياة مستقرة عند المسلم الا اذا أمن على عرضه وكان نسبه في مأمن من التلوث ونجد الاسلام يضع الحدود لمن تطاول على هـــذا الشأن كما ينهى عن بعض التصرفات التي مضمونها تضييع الحق الأخوي الذي حذر

الله من تضييعه قال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم".[1]

هذا النص القرآني خاطب المؤمنين بوازع الايمان أن يبتعدوا عن هذه الأشياء التي من شأنها اقحام النفوس فيما لا علم لها حقيقي فيقعون في الحرج والاثم من ناحية أولاً وفساد الأخوة ثانيا ولم يرتب حدا شرعيا هنا لمن فعل هذه الأشياء ولكنه خاطبهم بالايمان فاذا كان هناك ايمان صادق فانها بمجرد ماتسمع هذا التوجيه تأخذ به وان لم تكن مؤمنة فما فاتها من خير الايمان أعظم بكثير مما وقعت فيه من الاثم بالاغتياب ونحوه ومن فاته الايمان أو كماله له مقام آخر وأسلوب قرآني آخر .

وقال تعالى : " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ....."[2] الآيــة .

قال ابن كثير رحمه الله يعني هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحدود - وللعلماء فيه تفصيل ونزاع لأنه اما أن يكون بكرا أو محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فاذا كان بكرا فانه يحد مائة جلدة مع التغريب عام عند الجمهور بغير الحنفية وحجة الجمهور مافي الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الاعرابيين اللذاني جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أحدهما يارسول الله ان ابني كان عسيفا عند هذا فزنى بامرأته فافتديت ابني عنه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة

(١) سورة الحجرات : آية ١٢
(٢) سورة النور : آية ٢

هذا الرجم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا قضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام وأغد يا أنيس لرجل من أسلم الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها ا . هـ بتصرف .(١)

لو نظرنا الى هذه الحدود لوجدنا فيها من الزجر ما جعل أعداء الاسلام يتخذون منها ذريعة ليعبروا عما تكنه صدورهم للاسلام ناسين ما تؤدى اليه من الوبال اذا سادت فى المجتمع هذه الجرائم البشعة ولم يكن لها رادع فبقياس تلك الجرائم وما تؤدى اليه من تضييع الانساب واستباحة المحرمات نجد أن هذه الضمانات هى الشىء المناسب وهى أقل فى وقعها من تلك النتائج الوخيمة التى وضعت من أجلها ولا يخلو حال المعترض على التشريع الاسلامى من أن يكون طالبا الوصول الى الحق ليقتنع به أو مكابر لا يريد الانقياد للحق مهما وضح .

فالأول يبين له وجهة نظر الشارع الحكيم فى تشريعه تلك الحدود ولعل الله أن يهديه ، وأما الثانى فمتى ظهرت مكابرته وجب الاعراض عنه لعدم الفائدة معه .

ثانياً - وأما موقف السنة من توجيه المجتمع الأخوى المسلم الوجهة السليمة وحماية عقل الأمة من الضياع وراء العادات الضارة فقد وقفت موقف الحزم من منع انتشار الرذيلة كما وجهت المكلف الوجهة الصالحة فيما يتعلق بالتعامل الأخوى فمنعت استرسال الألسنة فيما لا يجوز فمنعت الغيبة والنميمة وعدتها من سيئات الأعمال وحذرت من الغل والحسد وبينت بأنه داء عضال وأما موقفها من موبقات الأعمال التى لها حدود فموقفها منها موقف القرآن الكريم حيث نفذت ما أمر به القرآن من اقامة الحدود أو زادت من تلك الحدود فى بعض المواطن ومعناها موقفها من حد الزنى وما زادت به على النص القرآنى ، قال مسلم رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار جميعا عن

---

(١) فتح القدير جـ٤ /٦٠

عبد الأعلى قال ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه قال فانزل عليه ذات يوم فلقى كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب جلد مائة ثم الرجم بالحجارة والبكر جلد مائة ثم نفي سنة (١) قال العلماء وهذا كان في أول الأمر ثم اكتفى بالرجم للثيب دون الجلد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بماعز فانه رجمه ولم يجلده (١).

هذه العقوبة فيها من النكال ما يجعل المجتمع الأخوى بعيدا عن القاذورات كما يجعله صعب على الشيطان أن يلوثه بارساله ضعاف النفوس لتحريك أنامل الشهوة لأنهم يرون مصير من أقحم نفسه في تلك المستنقعات فيرجعون قائلين للشيطان ان أمامنا شيء اذا تذكرناه جيدا بردت عروق الشهوة فينا فيرجع خاسئا ويرجعون هم وكأنهم الاتقياء الأبرار وما هو الأخوف العقوبة وهي رحمة الله بهم أولا وبالمجتمع الأخوى ، ثانيا ودحرا للشيطان ثالثا .

---

(١) مسلم جـ ٥ / ١١٥ .

٥ - حفظ المـــال :

أولا : من القــرآن :

وكما حرم الاسلام على الأخوة في الله القتل والتعدي على حرمات الغير وجعل لتلك الأعمال جزاءات لتطهير من وقع فيها وزجرا للآخرين ، فقد كان أيضا حرم التعدي على ما يحوزه المسلم من الاغراض الدنيوية أن تمتد اليها الأيدي بالسلب والنهب وجعل لذلك رادعا شرعيا .

قال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله . . . الآية) .

قال الشوكاني هذا فيمن أخذ المال خفية بخلاف المحارب وذكر السارقة مع السارق للبيان والا فغالب القرآن الاقتصار على الرجال في التشريع للأحكام والسرقة بكسر الراء اسم للمسروق والمصدر سرق يسرق سرقا أخذا للشيء في خفية عن الأعين ومنه استرق السمع وسارقة النظر - فاقطعوا - القطع معناه الابانة والازالة وجمع الأيدي لكراهة الجمع بين تثنيتين وبينت السنة أن موضع القطع الرسغ وقال آخرون يقطع من المرفق والخوارج من المنكب والسرقة لابد أن تكون ربع دينار فصاعدا ولا بد من الحرز كما ورد في الصحيح ومن رأى ربع دينار الجمهور وآخرون يرون عشرة دراهم كما يشترط الجمهور الحرز وقال الحسن البصري اذا جمع الثياب في البيت قطع . اهـ بتصرف.(1)

ان الله تعالى خلق الانسان على خلاف ما خلق عليه الملائكة فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون أما بني آدم فيأكلون ويشربون وعليه فلا بد من السعي لكسب القوت فاذا حاز أحدهم قوته بتحصيله فانه المالك له وليس لأحد في ذلك المال نصيب الا من كرم وطيب نفس والا فهو معتد ولصيانة هذه الملكية شرعت الحدود لزجر ضعاف النفوس من جهة ولتطهير المجتمع الأخوي من أي تعكير من جهة أخرى فاذا أمن الأخوة في الله على الأنفس والاعراض والأموال وعرف كل من الأخوة حقوق اخوانه ومجتمعه

---

(1) فتح القدير جـ ٢ / ٣٩ .

في ذلك فانه يكون مجتمعا فريداً من نوعه سعيداً في حياته وسعيداً في منقلبه بخلاف ذلك المجتمع الذى يتكون أفراده من ذئاب يأكل بعضها بعضا فلا أمن في الدنيا ولا سعادة في الآخرة وهم الذين لا يحكمون شرع الله .

ثانياً - أما السنة : فهي المطبق الأول لأحكام القرآن الكريم والمحددة لموضع القطع فان القرآن أخبر وأمر بقطع يد السارق والرسول أول من طبق هذا الأمر الرباني على السارق بغض النظر عن منزلته شريفا أو غير شريف لأن الناس في نظرة الاسلام واحدة أخرج مسلم رحمه الله حدثنا محمد بن رمح أخبرنا الليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ومن يجترئ عليه الا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال : أيها الناس انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .(1)

في هذا العمل التطبيقي عدة أمور الأول ما ذكره القرآن وهو قطع يد السارق وقد كان هذا الحديث صورة لتطبيقه وفي ذلك من احترام مال الغير ما فيه فان المستهين بحق الأخوة الاسلامية وواجب الحب والاخلاص وعدم الاعتداء يعني أنه لم يستق من المنزلة الرفيعة من الايمان والنصح وانما سار عنده استرخاء في أمر دينه فكانت الحدود حافزة له ومنشطة ومخبرة له بأنه قد تمكن الشيطان من تلابيبه فجره الى أخذ الحرام والخافة الآمنين وتحميل النفس بالآثام فدعاه داعي الشرع بالتأديب والتطهير لكي يتوب ويرجع فان باب التوبة لم يغلق بعد .

---

(1) مسلم جـ٥ / ١١٤ .

الأمـر الثانى : بيان الرسول بأن الحدود تجرى على الناس عموما وليست على أحد دون أحد وقد غلط أهل الكتاب حيث تصرفوا فى أمر ليس من شأنهم وانما هو من شأن الرب تعالى فحذرنا الرسول من هذا المسلك الهزيل المزرى الذى يكسب صاحبه مقت الله وسخطه لأن الحدود توقيفية وليست لعبة للأهواء الشخصية ولكن اليهود لا تعقل ذلك .

" أحاديث " في معنى الأخوة والحفاظ عليها من نواحي أخرى "

بالاضافة الى هذه الضروريات الخمس المتقدمة وما سقت من الاستدلالات القرآنية والأحاديث النبوية الخاصة بكل نوع منها وعلمنا حرص الدين على اسعاد أفراده وذلك بتوفير حاجاتهم بلا مشقة فى ذلك وابعاد مافيه عنتهم ومشقتهم فان الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا بين من نواحي أخرى تخص علاقات الأخوة فى الله فيما بينهم مايجوز وما لا يجوز فروى عنه صلى الله عليه وسلم ، فيما أخرج البخارى رحمه الله قال حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا .(١)

الظن هو مايخالج النفس من الأفكار وغالبه ان لم يكن كله أوهام ولذلك وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه أكذب الحديث واذا كان كذلك حقيقة فانه لا ينبغى أن يتخذه المؤمن طريقة له لأنه يفضي الى غير ماكان يتوقع فيقع فى الحرج فاشفق الرسول صلى الله عليه وسلم علينا ونصحنا بتجنبه ولا شك فى أن الظن منفذ للشيطان على الانسان حيث يوسوس له ويخيل له غير الحقائق على أنها حقائق ليهلكه " فوقف الرسول عند هذه الثغرة وقال لنا تجنبوها فان حاديها الشيطان يقذف من أجابه فى قطيعة الرحم وبتر العلاقات الأخوية واحراج المكلفين بمقارفة مايعنتهم عواقبه وكل الشرور أو غالبها .

(١) البخارى جـ١٠/ ٤٨٤ .

سيد أها الحدس والتخمين ولا بد ،أما المحظور الثاني والثالث فهما التحسس والتجسس ـ والتحسس التحرى بحاسة السمع الى مالا يجوز للمكلف وهو هبوط بالنفس الى مستوى دنى ء فليس من خلق المؤمن ولا من طباعه أن يلاحق عورات اخوانه وما يخفونه ولا يحبون ظهوره فيتابعهم في ذلك ليفشى ماأسروه ويظهر ماأخفوه وفي ذلك من أسباب التباغض والقطعية ماخاف الرسول صلى الله عليه وسلم منه فنهى عنه والتجسس هى المبالغة في التحسس فقد يشرك حاسة السمع بالبحث عن عورات الغير غيرها من الحواس وهو أقبح أو مبالغة في القبيح .

والرابع من المحظورات النجش وهو ينطوى في حقيقته على عدة مفاسد أولها أنه كذب في حد ذاته وبهذه الحقيقة يكون حراما بمجردها فضلا عن أن يكون له مفاسد غيرها فاذا كان كذبا ويسبب الاعتراض على رزق الآخرين فهو يدل أيضا على الحسد وهو كاف في حرمته أيضا فاذا أضيف شيء ثالث هو مايسبب من تشاحن وتباغض علم أنه لا خير فيه وأنه لا يتعاطاه الأذوى النفوس شحيحة الايمان التي تكون سهلة الانقياد في يد الشيطان وكلما هو من عمل الشيطان فقد وقف منه الرسول موقف المنذر والمحذر رحمة بالناس من هذا العدو اللئيم وجعل مجتمع الأخوة في الله مجتمعا طاهرا نزيها يسوده الوئام والمودة .

والشيء الخامس من المحظورات هو المحظور الذى أول ماعصى الله به وهو الحسد وحقيقته الاعتراض على الواقع فاذا كان هذا الاعتراض على القدر الكوني فهو عين الهلكة لأن اعتراض المخلوق على تدبير الخالق وقسمه يعني الانتقاد وهذا مسلك لا ينبغي أن يكون من المخلوق القاصر في مداركه لأنه لاعلم له الا ماعلمه خالقه والا فهو جاهل أصلا فكيف يأتي ببعض ماأوتى من العلم المحدود ليوجهه بالنقد الى من علمه غير محدود وهذا المسلك من المخلوق ان دل على شيء فانما يدل على ضلالة عقله

وعقم تفكيره ولذلك لما اتصف الشيطان بهذه الصفة استحق من خالقه ما حل به وهذا ما لا يريده الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد من أمته فقال لا تحاسدوا أى لا يحسد بعضكم بعضا وأنتم اخوة فى الله لأن الحسد ينافى معنى هذه الأخوة لما ينطوى عليه من المعانى الخبيثة التى تهلك صاحبها قبل أن تذهب الى غيره .

السادس من المنهيات التباغض وهو معبر عما فى النفوس من الكره للآخرين وهو استجابة لرغبات النفس عند الغضب وليس لرغبة الدين فالأولى للمكلف أن يكون مع شرع الله لأنه أعز رفيقا وأوفى صحبة وأصدق نصيحة وأفضل له منقلبا أما النفس فانها تبغض اما لحق أو لباطل فان كان لحق فعليه بالعفو والصفح واحتساب ما نابه عند الله لا عند المخلوقين وأما اذا كان بغضه للآخرين عن باطل يريده هو فاذا لم يعط كره من حال بينه وبين ما يريده فان هذا المسلك أبعد فى الشقوة وأعظم ضلالا ،والحديث هنا يخاطب صاحب هذا المسلك قبل غيره لارادته الباطل أصلا ولتعصبه للباطل ثانيا ولتسببه فى احلال الفرقة بدل الوئام والتدابر بدل الحب والاخاء .

أما التدابر فهو أفظع من سابقه وهو التباغض لأن التدابر يأتى نتيجة التباغض ولو أن النفوس سليمة الغل ما أدبر بعضها عن بعض والتدابر من اخلاق أهل النار كما أن من أخلاقهم السباب والشماتة كما أن من أخلاق أهل الجنة السلام يتبادلونه بينهم ونظر بعضهم الى وجه بعض لا يتدابرون فحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن تكون علاقتنا الود والصفا كأخلاق أهل الجنة وحذرنا من أخلاق أهل النار عموما والتى من بينها التشاحن والبغضاء والعداء والجفوة والإخاء بيننا والحب هو الأصل لأن الأب واحد والأم واحدة والرب واحد والدين الاسلامى واحد ولكن حدثت الفرقة بعد ذلك وأساس محركها الشيطان فجاءت الرسل لتعالج هذا الوضع ومن أوفاهم توجيها محمد صلى الله عليه وسلم .

وآخر التوجيهات النبوية ليس محظورا كالأمور المتقدمة وانما هو أمر ايجابي وهو أن تكون عباد الله اخوانا بجامع اتحاد المبدأ وهو عبادة الله وحده دون سواه كما أشار الى هذا بقوله كونوا عباد الله اخوانا وهي الأخوة التي لا يطرأ عليها الدثور ولا تزول بمعارض أيا كان ذلك مابقيت العبودية لله تعالى واذا فقدت هذه العبودية زالت حتى لو كانت أخوة نسب قال تعالى : " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم[1] ..... الآية" وقد تقدم في البحث الكلام عن الموالاة وانما أوردت الآية هنا للاشارة الى أن الأخوة التي أرادها الرسول عزيزة المنال اذ لا ينالها الا من أخلص عبوديته لله وحده والا لم ينالها ولو كان أقرب قريب .

وأخرج مسلم قال : حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك عن عطاء ابن شهاب عن عطاء بن يزيد والليثي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام[2]

الهجر الترك والابتعاد عن الشيء والمراد به هنا هو الهجر الأخوي بمعنى أن كل واحد من الأخوة يعرض عن صاحبه لما لكل واحد عند الثاني من البغض والكره ولعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الخلاف بين الأفراد لابد وأن يقع على أي سبب ويتبع ذلك الخلاف تشاحن وتشاجر وتباعد بناء على الطبيعة البشرية الضعيفة فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكر وجود هذه الطبيعة والأنانية وانما حد لها حدا لا ينبغي أن تعطى أكثر منه لأن هذه المدة كافية لأن يراجع الانسان نفسه ويهدأ غضبه ويرجع الى رشده اما اذا زاد على تلك المدة فانه يدل على زيادة الغرور والانقياد وراء دواعي النفس والذي مضمونه تفضيل النفس على الآخرين من الأخوة فيطيعها في

---

(١) سورة المجادلة : آية ٢٢ .

(٢) مسلم جـ ١٦ / ١١٧ .

قطع الأخوة وبتر أواصر المحبة غير مستجيب لنادى الشرع الذى يحضر عليه هذا السلوك في القطيعة والأنانية ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل علامة لأفضل الرجلين ايمانا وهو الذى يرغم نفسه ويبادر أخاه بالسلام فيقضى على الاحن ويقطع على الشيطان حبله الذى قد مده بينهما ليستمرا في القطيعة الموجبة للاثم .

وقال أيضا رحمه الله قال حدثنا أبو الطاهر وعمرو بن سواد قال أخبرنا ابن وهب أخبرنا مالك بن أنس عن مسلم بن أبى مريم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تعرض الأعمال فى كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن الا عبد بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا أو أركوا هذين حتى يفيئا[1] .

من فضل الله ولطفه بخلقه أن يتعاهدهم برحمته فيغفر لهم ما جرى منهم فى الأسبوع غير الكبائر لأن الكبائر لابد من توبة واقلاع فيغفر الصغائر يوم الخميس والاثنين لمن نجاه الله من الشرك ، والشرك أنواع منها أكبر فلا اسلام يبقى مع صاحب هذا الشرك.

مثال هذا الشرك فى الماضى عبادة الأوثان واعتقاد النفع فيها ومثاله فى الوقت الحاضر أى الشرك المخلد فى النار مايردده البعض بكلامه ويعتقده بقلبه فيقول مثلا القوتين العظميين للشرق والغرب ولا يذكر ناسيا أو متناسيا قوة الله سبحانه الذى أهلك نمروذ بالبعوض وفرعون بالغرق وعاد بالريح وثمود بالصيحة وقوم لوط بالخسف وما يعلم جنود ربك الا هو ، ولا نعلم ارادته بالقوتين الحاليتين أهو كتب عليهما أن يفنى بعضهم بعضا فهو قادر سبحانه أو أنه قد أعد لهما جند من جنده لا نعلم منهم أما هاتان القوتان فانهما يستحقان الافناء اليوم لعدم اعترافهم بالله ربا أصلا وهم الشرقيون ، وهم أولى القوتين بالاهلاك أولا والثانية من القوتين لكفرها بحق الله تعالى ولسنا نتنبأ بهذا ولكن أخذا من سنن الله أنه لا يعمر الكفر والذى جرنا

---

(١) مسلم جـ ١٦ /١٢٢ .

لهذا الكلام افتتان البشر اليوم باعظام المخلوق ونسيان الخالق وهو القوى العزيز ونخلص الى أن رحمة الله لا تنال من عظم فى صدره قوة المخلوق وهانت فى صدره قوة الخالق وقد أخبرنا الله عن غطرسة الانسان وغروره فقال :- " فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ...... الآية[1] ثم أهلكهم بالريح فعلينا أن نعظم من يستحق التعظيم وهو الله لا غيره وأن نهين ونحتقر من يستحق التحقير وهم الشرق والغرب على السواء حتى نكون ان شاء الله من الذين تعرض أعمالهم فى الأسبوع مرتين فتغفر لهم لما فى صدورهم من الاعتقاد بأن الله هو سيد الكون وخالقه ومدبره وهو القوى المطلق وغيره هو الضعيف المطلق أيا كان ومهما كان ، كما لا ينبغى أن نجعل التباغض بيننا حجر عثرة لهذا العطاء الربانى فنمنع عن أنفسنا ما نحن بحاجة اليه أشد الحاجة لأجل الاحن النفسية التى بالامكان تجاوزها والتغلب عليها بكرم النفس والعفو والتجاوز الذى لا يخيب من تخلق به ان شاء الله والعفو والصفح من أخلاق الأنبياء ثم الكمل من الناس فجدير بنا الاقتداء بهذه القدوة الطيبة من البشر وعلى رأسهم نبينا صلى الله عليه وسلم فقد عفا عن اساءات لحقت به لم تلحق بغيره ولنا فيه أسوة حسنة وقدوة كاملة .

وأما الشرك الأصغر فهو كبيرة من كبائر الذنوب ومنه الريا الذى هو أخفى من دبيب النمل نرجو الله أن يتولانا برحمته وتوفيقه لنبتعد عن محبطات الأعمال ويبصرنا حتى لا نلمس الأجر الا منه وحده ، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأخرج أيضا قال : حدثنى زهير بن حرب ومحمد بن المثنى جميعا عن أبى القطان قال زهير حدثنا يحيى عن عبيد أخبرنى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له . (٢)

---

(١) سورة فصلت : آية ١٥

(٢) مسلم جـ ٩ / ١٩٧ .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الآداب الأخوية التى ينبغى أن يسير عليها الأخوة فى الله تعالى وهو الاحترام المتبادل ومراعات الشعور الشخصى وتجنب مايثير الحزازات والتى من بينها مزاحمة الأخ لأخيه فى باب رزق بطرقه فيأتيه ويسير معه فى نفس المسار علما بأنه مسبوق وهو امر ممنوع شرعا وعقلا فلا ينبغى اقتراب ماتأنف منه الشيم وتنكره العادات المستقيمة فضلا عن تأكيد الشرع على ذلك لأنه يسبب اضرارا وقطيعة بين الأخوة الا اذا أذن الأخ لأخيه فى هذا المجال فانه عند ذلك لا يكون هناك محظورا وبالتالى فلا اثم عليه .

" الفصـــل الثالـــث "

خصائـص الأخـــوة الاسلاميــــة

دوام أخـــوة الايمـــان :

أولا : من القـــرآن :

الدوام : الثبوت والاستقرار ومنه حديث : الماء الدائم [1] ،ومعناه الاستمـــرار وعدم الانقطاع قال تعالى : " خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ..... [2] الآية" ومعنى دوامها أنها لا تنقطع بالموت أو بنهاية الدنيا كغيرها من العلاقات التى لا دوام لها ولا ثبوت بل ان اخوة الايمان يجنى ثمارها أصحابها بعد الموت فى الدار الآخرة لأنها مؤسسة على أساس متين غير زائف ثابتة الجذور هى : "كشجرة طيبة أصلهـــا ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ...... الآية" [3] .

بخلاف غيرها من العلاقات فانها ضحلة المعانى هزيلة الجسم ضعيفة الجـــذور هى " كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ... الآية " [4] .

فعلاقات وأخوة القرابة تنتهى بالموت المفرق بين الأقارب من هذه الوجهة قـــال تعالى : " يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ... الآية " [5] .

وعلاقة الصداقة غير الايمانية تنتهى بمفارقة ذلك الأشخاص لبعض بالموت أو أى سبب آخر هذا ان لم تكن تلك العلاقات مجتمعة على معصية الخالق فاذا كانـــت من أجل معصية الخالق فانها تنقلب عداوة وسباب وشتام قوى ،قال تعالى : " ان ذلك لحق تخاصم أهل النار .... الآية " [6] .

وان كانت العلاقات الأخوية علاقات وتقارب من أجل مصالح دنيوية فانها تنتهـــى بنهاية تلك المصالح وكأنها لم تكن وواقع الحياة قديما وحديثا يغنى عن البحث لدليل

---

(1) المعجم الوسيط جـ ١ / ٣٠٤ .
(2) سورة هود آية : ١٠٨ .
(3) سورة ابراهيم : آية ٢٤
(4) سورة ابراهيم : آية ٢٦ .
(5) سورة عبس : آية ٣٦
(6) سورة ص : آية ٦٤ .

على هذا الأمر ويبقى أن نسوق نص قرآني يصور لنا حال الأخوة المبنية على أساس غير ايماني بوجه عام والأخوة المبنية على طاعة الله وابتغاء مرضاته وما هي الثمرة لكل منهما عند الله ، قال تعالى : " الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ".

قال القرطبي رحمه الله قوله : الأخلاء يومئذ يريد يوم القيامة - بعضهم لبعض عدو - أى أعداء يعادى بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا - الا المتقين - فانهم أخلاء في الدنيا والآخرة .

وقال النقاش إن هذه الآية نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد صبأ عقبة بن أبي معيط فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة ذلك فنذر النبي صلى الله عليه وسلم قتله فقتل يوم بدر صبرا وقتل أمية في المعركة وفيهم نزلت الآية وذكر الثعلبي رضى الله عنه في هذه الآية قال كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما فيقول الله تعالى ليثني كل واحد منكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك فيقول الله نعم الخليلين ونعم الأخ ونعم الصاحب كان قال ويموت أحد الكافرين فيقول ياربي ان فلان كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك فأسألك أن تضاعف عليه العذاب فيقول الله : بئس الصاحب والأخ والخليل كنت فيلعن كل واحد منهما صاحبه قلت والآية عامة في كل مؤمن وكل كافر ومضل ا . هـ بتصرف .(١)

---

(١) القرطبي جـ ٧ / ٦١٣٠ هـ

هناك بين يدى الله تظهر الحقائق وتحاز الأرباح وتمتحن الضمائر وهناك يفرز الغث من الثمين ويتمنى المرء لو أنه لم يمض لحظة من لحظات حياته الا فيما يعود عليه بالصلاح فى ذلك الموقف الذى لو تصوره البشر اليوم على حقيقته لكان لهم شأن آخر عما هم عليه الآن فى ذلك الموقف ينادى الخلائق وليس على واحد منهم سترة لعورته أو نعال لرجليه أو لباس لجسمه أو طعام لجوعته أو شربة ماء لكبده وبينما هم على تلك الحال واذا بالمنادى ينادى وهو منادى الحق بأن القرابات الأخوية فى الدنيا قد انقلبت الى عداوة هنا هذا بالاضافة الى ماهم فيه من الهول والكرب فيزداد من يعنى بهذا الخطاب بلاء على ماهو فيه من البلاء غير أن النص القرآنى استثنى خلة الايمان فانها باقية على خير حال ولا شك أن المعنيين بالاستثناء اذا سمعوا هذا الخبر حسن حالهم وأمن روعهم فاذا أردف الرب جل جلاله بالبشارة الأخرى فقال (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)[1] زال عنهم هول الموقف وانسل من صدورهم ماقد اعتراها وهنا يظهر الفرق ويتجلى الربح ويعلم المصير وتظهر علامات مآل كل فريق على ملامح الوجوه ، (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة)[2] .

وهنا يعلم أن العزة والفلاح فى اتباع شرع الله وتوجيهاته فلو اتبعها البشر ماضلوا فى الدنيا ولا شقوا فى الآخرة .

فهذه النتائج الأخوية قدمت لنا فى الدنيا (فهل من مدكر)[3] .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٦٨ (٢) سورة عبس : آية ٤٢ .

(٣) سورة القمر : آية ٣٢

ثانيا : من السنة :

واذا التمسنا شاهدا من السنة المطهرة على استمرار اخوة الايمان وأن جميع من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وصارت العلاقات الأخوية على هذا الأساس أنهم يجتمعون على خير حال عند ربهم وبقيادة نبيهم الذى أخرجهم الله به من الظلمات الى النور ، من ذلك ما أخرج مسلم رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا اخواننا قالوا أولسنا اخوانك يارسول الله قال : أنتم أصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله فقال أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالو بلى يارسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا[1] ، أخبر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث رغبته فى مواجهة أخوة الايمان فى مناسبة زيارة القبور الذى صار أهلها الى البلى الجسدى فى التراب ولكن مع ذلك أخبر فى هذه المناسبة بلقاء أخوى آخر فى الآخرة ووصفه صلى الله عليه وسلم بلقاء الأخوة المتشوقية اليه هو وأنه يتقدمهم الى الحوض فيتناول اخوانه وأتباعه الماء الجميل الذى وصفه هو بأنه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وقد بلغ بالناس حال لا يمكن الاحاطة به الآن لبوصف وخير وصف لذلك المقام هو قوله تعالى : " ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد[2] " .

---

(١) مسلم جـ ٢ / ١٣٢ (٢) سورة الحج : آية : ١ ، ٢

في هذا الموقف الذى لا نصفه أكثر مما وصفه القرآن نفسه يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكأس الى تلك الأكباد التى كاد يفتتها العطش لكن تلك الشربة تضمن قطع الظمأ الموجود وتضمن عدم الحاجة الى الماء مرة أخرى حتى يقرع هولهم باب الجنة ويعرف كل مكانه و تكرمته المعدة له خصيصا فياله من وفاء أخوى قام به الرسول الكريم مع اخوانه وياله من رسول أعطى فضائل أكثر من غيره من الأنبياء وقد حرص على أن يشرب بتلك الكؤوس كل من ورد عليه ولكن بعض الأفراد ترك السير مع ركب الايمان وبدل ايمانه بالنفاق ومؤاخاة غير المؤمنين فلم يحظ بما حظى به من لم يبدل ايمانه نرجو من الله العفو والعافية والثبات على الاسلام والممات عليه .

فان الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه الرحيم بأمته يدعو على أولئك الذين بدلوا دينهم زيادة على طردهم وعدم سقياهم فيقول : سحقا سحقا أى بعدا لهم ودعوة الرسول معروف بالضرورة أنها مستجابة فيزدادون حسرة على حسرتهم وشقوة على شقوتهم وهنا يظهر الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

أما أولياء الرحمن فهولاء يردون الحوض ويستقبلهم نبيهم ويناولهم الكؤوس وأما حزب الشيطان وأولياؤه فان الشيطان يتبرأ منهم ويعتذر بأنه أضلهم باستجابتهم له لا أنه اجبرهم على الضلال ،قال تعالى : " وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ،ان الظالمين لهم عذاب اليم ".[1]

---

(1) سورة ابراهيم : آية ٢٢ .

ب ـ تكامل الأخوة الايمانية فى الدار الآخرة

أولا : من القرآن :

معنى الكمال لغة يقال كمل الشئ كمولا اذا تمت أجزاؤه أو صفاتـــــه .[١]

ويعنى هنا تمام الشئ وبلوغه الذروة قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكـــم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ".[٢]

وكمال الأخوة فى الآخرة بمعنى أن الدنيا دار عمل واختيار وبلاء والشيطـــان موجود فى الدنيا وكثير من التصرفات التى يتصرفها المكلف قد يغفل عن عـــــدوه الشيطان وكيده له فيزين له عمل مضمونه شئ من القطيعة الأخوية وما يترتب عليـــه خصام بين الأخوة وتشاحن وإحن غير أنها لا تبلغ الى درجة العداوة والبغضاء التى تكون بين المؤمنين والكافرين ومع ذلك فهم اخوة فى الله تعالى ولا تخرجهم هـــذه الهفوات عن اسلامهم وايمانهم كما تقدم فى البحث أن الخلاف قد يقع بين المؤمنين وهم باقون على ايمانهم لا يخرجهم ذلك الخلاف عن الدين فاذا وفد الأخوة فى اللـــه تعالى على ربهم فانه سبحانه لا يترك الإحن فى صدور الأخوة وقد انتهوا من الدنيـا وعنتها وانما بفضله سبحانه يعفو عن هفواتهم عموما والتى منها الغل من بعضهـــم لبعض لأن الجنة دار نعيم لا غل فيها ولا تشاحن ولا بغضاء .

قال تعالى : " ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلـــين".[٣]

قال القرطبى رحمه الله : قال بن عباس رضى الله عنه أول مايدخل أهل الجنة

---

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ / ٨٠٤ (٢) سورة المائدة : آية ٣

(٣) سورة الحجر : آية ٤٧ .

الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من احدى العينين فيذهب الله مافى قلوبهم من غل ثم يدخلون الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق الوانهم وتصفو وجوههم وتجرى عليهم نضرة النعيم ـ اخوانا على سرر متقابلين ـ أى لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحابيا وقيل الأسرة كيفما شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد وقيل قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود وسرر جمع سرير ،وقيل من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور.

قال ابن عباس على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر السرير مابين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى ايلة ـ واخوانا نصب على الحال من المتقين أو من المضمر فى ادخلوها أومن المضمر فى آمنين أو حال مقدرة من الهاء والميم فى صدورهم (لا يمسهم فيها نصب) أى اعياء أو تعب ، (وما هم منها بمخرجين) .[1]

دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يزول وأن أهلها فيها باقون[2] ا.هـ بتصرف.

ان الله قد طهر جنته من أن يسكنها أو يجاوره فيها من تحوي صدورهم الغل والحسد لأنها ليست دار تباغض وتدابر ولأن هذه الصفات مرض يوهن الجسم والقلب معا بخلاف ماوضعت الجنة لأجله فانها خلقت للتنعم والمتعة والراحة وبما أن الوافدين اليها من دار العناء والتعب يقدمون بشىء من بقايا ماعرض لهم فيها من تشاحن واختلاف فان هذه الرواسب لا قرار لها فى الجنة وقد زالت أسبابها كما زالت الدنيا فاذا كانت الدنيا عرضة أو سبب لهذه الأشياء فليست الجنة كذلك فمن تمام نعمة الله أن يستل مافى صدورهم من تلك البقايا المرضية بل ويجعل بدلا منها الإخاء والمودة واقبال بعض الاخوة على بعض بالقلوب الطاهرة النقية السليمة من كل مرض سببه الشيطان فى الدنيا .

---

(١) سورة الحجر : آية ٤٨ (٢) قرطبى جـ ١٠/ ٣٦٩

ثانيـــا : من السنـــــة :

تحدثت الآيات القرآنية عن نعيم أهل الجنة وما هم فيه من الخير وقرة العـين وما ألقى عنهم من الخوف الذى أرعب الخلائق فى عرصات القيامة وبقى أن نرحديث السنة عن مصير الأخوة فى الله وما نالوه من الجزاء مقابل قيامهم بأمر الله تعالـى وتحاببهم من أجل ذلك .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم : أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكـب درى فى السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامـرهم اللؤلؤ - أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحـد على صورة أبيهم ستون ذراعا فى السماء . متفق عليه[1] .

ولهما أى الشيخان : آنيتهم فيها الذهب ورشحهم فيها المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغـض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا[2] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان فى الجنـة سوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا احسانا وجمالا فيقول لهم أهلوهم واللـه لقد ازددتم حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا . رواه مسلم[3] .

---

(١) رياض الصالحين ص ٦٦٧ .
(٢) رياض الصالحين ص ٦٦٧ .
(٣) رياض الصالحين ص ٦٧٠ .

ورد في عبارات الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أنهم أي المؤمنين يكونون على صورة واحدة فياله من تعميم عند ما يكونون في منظر رجل واحد .

اننا لو حاولنا تصور ذلك المجتمع الذى بهذه الحقيقة ما استطعنا مطلقا الاحاطة أو التعبير عنه فكم عدد أهل الجنة أصلا لا يعلم ذلك الا خالقهم وكل واحد منهم كان له لون خاص في الدنيا ليس لغيره وهى من قدرة الله أيضا في الدنيا حيث أعطى كل نفس صورة وشكلا تختص به كما أن قدرته تلك هى التى جعلتهم في الآخرة على صورة رجل واحد مبالغة في تعميمهم حتى لا يشعر أحد بنقص في جانبه لو رأى نقصا خلقيا لديه وهو ينافى التعميم لوجد هذا النقص .

ومن عبارات الحديث قوله لا اختلاف بينهم وضد الاختلاف في الاتفاق وهو يعنى أنهم يعيشون بروح الانسجام واجتماع القلوب وعدم اختلافها بخلاف ماكانوا عليه في الدنيا فانهم كانوا عرضة لعوارض الاختلاف في نواحى دنيوية كثيرة مما يسبب بعض التشاحن ولكنها بفضل الله لن تجتمع عليهم في الدارين فقد كان شيئا منها في الدنيا ولكن لن توجد مطلقا في الآخرة .

وفي الحديث قوله ولا تباغض بينهم قلوبهم قلب رجل واحد ، هو من فضل الله ورحمته فانه لما علم باجتماع تلك القلوب في الدنيا حول مبدأ واحد هو افراد الله بالربوبية والعبودية والولاء على ذلك جازاهم الله من جنس صنيعهم وله الفضل في الهداية أولا وفي الجزاء ثانيا بأن جمع قلوبهم وكأنها قلب واحد لا قلوب متعددة وهو أيضا واقع لا يستطيع العقل تصوره على حقيقته ولكنه حقيقة كما أخبر صلى الله عليه وسلم وقدرة الله أعظم من ذلك كله .

فاذا كانوا فى الظاهر على شكل أبوهم آدم ستون ذراعا وفى الباطن على قلب رجل واحد فلا تباغض ولا تشاحن فهذا هو جزاء الأخوة الاسلامية فأيها أصدق وأبر أخوة الايمان هذه ، أم ماعداها من العلاقات البشرية غير الايمانية التى لا دوام لها ولا استقرار بل هى أشبه ماتكون بالظل الذى يزول بزوال شخصه بل ان كل علاقة أخوية على غير الاسلام .

هى فى الحقيقة تنقلب عداوة وبغض من المتحابين لبعض لأن كل شىء غير الاسلام باطل ، لأنه الدين الذى إرتضاه رب الكون للمكلفين أن يتعبدوه به ولن يقبل من أحد سواه ولو أتى بأعمال كالجبال .

قال الله تعالى : " ومن يبتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ".(١)

فأخوة الايمان حق غير باطلة مستمرة غير منقطعة ولا منقلبة عداوة وغير اخوة الاسلام باطلة ومنقطعة غير مستمرة ومنقلبة فى الآخرة عداوة وبغضاء لأنها مؤسسة على باطل وما أسس على باطل فهو باطل .

من هنا نعلم بأن أخوة الايمان مال رابح وزاد مؤد الى الغاية فجدير بنا أن تكون علاقتنا مبناها على طاعة الله فلقد علمنا ربح من سلك هذا المسلك وفوزه فى الدنيا بصدق الأخوة الايمانية لأنها خالية من التصنع الكاذب وفى الآخرة برحمة الله وفضله كما تقدم ولنحذر كل الحذر من التبديل فى الدين فنذاد عن حوض نبينا كما تقدم فيمن بدل دينه سائلين الله التوفيق والعون لنا لأنه لا حول لنا

---

(١) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

ولا قوة الا به كما نعوذ به أن يكلنا الـى أنفسنا فنهلك كما نسأله أن يجعل خـــــير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقاه وأن يجعلنا من حوض نبينا شاربين ويحشرنـــــا تحت لوائه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه الى يوم الد يـــــن صلاة وسلام متتابعين تتابع الليل والنهار .

والحمد للـــــه رب العالمـــــــــين "

" خاتمــــــة "

فى نهاية هذا البحث ،نحمد الله ونثنى عليه بما هو أهله اذ بفضله تتـــــم الصالحات وباعانته تذلل الصعوبات وبتوفيقه ورعايته تسلم الأعمال من الآفـــــات.

اللهم ماكان منا من علم أو عمل فما تخلله من نقص وعيب بها فانا نفزع من ذلـك كله الى رحمتك الواسعة فتعاملنا بها لا الى عدلك فنهلك فان التقصير من صفـــات المخلوق والكمال كله للخالق وحده ، وبالوصول الى آخر فقرات البحث علينا أن نستعـرض أهم النتائج التى توصلنا اليها فى هذا الموضوع " الأخوة الاسلامية فى الكتاب والسنة" وذلك كما يلـى :

١ ـ عناية الاسلام بموضوع العلاقات الأخوية لورود النصوص المتكررة سواء فى الكتـــاب أو السنة الصحيحة بأنواع التوجيهات تارة بالأمر بالقيام بالواجب الأخوى وتارة بالوعيد لمن ضيع حق الأخوة الاسلامية وتارة بالمدح لمن قام بذلك الواجـــــب كما بينت بعض النصوص بأن اسلام المرء لا يستقيم حتى تستقيم معاملته مع أخيـــه بما يحب وهو أمر يعطى فكرة بعناية الاسلام بالعلاقات الأخوية وما يترتب علـى صلاحها من صلاح المجتمع والعكس بالعكس .

٢ ـ عدم امكان الجمع مطلقا بين موالاة المؤمنين والكافرين معا كما بينت ذلك بجلاء آية المجادلة كما تقدم وآيات الممتحنة أيضا وكذلك التهديد الذى تحدثـت عنه سورة الأنفال فيمن تثاقل عن الهجرة وأقام مع الاعداء وأن من فعل ذلـــك فانه على شفى جرف ان لم يكن له عذر شرعى .

٣ - وجوب الهجرة من البلد التي تهدر فيها الحقوق والأعراض ولا يقام للدين فيها وزن ولا حسبان لمن استطاع ذلك لأنه معرض للاعتداء ، كما أنه قد يصانع في دينه فيقع في الحرج والهلكة .

٤ - مخالفة أخوة الاسلام لغيرها في عدة وجوه .

١ - بر المسلم لأخيه قربة يتقرب المسلمون بها الى الله تعالى وليست لهدف دنيوى كغيرها من المقاصد العاجلة .

٢ - خلوها من التصنع الكاذب والنفاق المشين .

٣ - تقديمها على أخوة القرابة كما تجلى ذلك في الرعيل الأول .

٥ - حماية الله للجماعة المسلمة من الغرور النفسي والأنانية الفردية حيث علمهم دينهم أنهم كالجسم الواحد متكامل لا يمكن استقلال ذلك الجسم بعضه عن بعض أو استغنائه عن بعض أطرافه وذلك بجعل أمرهم شورى .

٦ - صفة التكامل الأخوى وهو التواصي بالسير على الطريق القويم واقامة من حاد عن الصراط براً به وشفقة عليه بوازع الأخوة الايمانية .

٧ - صفة المعيار في نظر المسلمين حيث يقيّمون المرء بمعيار التقوى لأنها هي المال الحقيقي اذا متحنت المقاصد وما عداها فأوهام خداعة لكل بادى رأي .

٨ - تبني الخير للأخوة في الله الذين لم يجمعهم زمن واحد فيدع المتأخر بالخير لمن تقدمه من اخوة العقيدة بأن يزيد في حسناتهم ويرفع مراتبهم عند ربهم

وليس موجود هذا في غيرها من العلاقات البشرية مهما كانت وكيف كانت.

٩ - عدم الانسياق وراء الهوى على غير هدا من الله لأن ذلك يؤدى الى الشقاء والحسرة كما فعلت بعض الطوائف الاسلامية حيث جعلت من نفسها ميزانا تزن به الصحابة رضى الله عنهم ثم توالى على ذلك وتمادى وهو أمر ما جاء به لا قرآن ولا سنة سوى الظن الخاطىء والتخليط الشيطانى نعوذ بالله منه.

١٠ - عناية الاسلام بهذه الأخوة حيث جعل من الضمانات والحدود والتشريعات عموما ماهو بمجموعه يحفظ المجتمع المسلم فى صورته السليمة - بعيدا عن مظان الشقاء ولعب الشيطان .

١١ - كمال رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث لم يترك مجال احتكاك للأخوة فى الله الا وبين الوجه التعاملى السليم الذى ينبغى سلوكه فى ذلك الصدد ازاء كل منهما للآخر دونما استثناء فى جميع حياة المكلف فقد شملت توجيهاته ذلك كله صلى الله عليه وسلم .

١٢ - ثبات الأخوة الاسلامية اذا بطلت الخلات يوم القيامة لصحة أساسها وطهارة جوهرها اذا امتحنت السرائر فالله المستعان وعليه التوكل .

١٣ - عظيم ثمرة طاعة الله والذى من جملتها الحب الأخوى فى الله ومن أجله ، حيث يجمع بينهم فى دار كرامته فيجازيهم من فضله ويعطيهم أكثر مما عملوا لأنه الشكور سبحانه ويكون الإخاء فى الجنة بدرجة أو شق وأصفى من الإخاء فى الدنيا وان كان الإخاء فى الدنيا فيه خير وبركة غير أنه لا يخلومن الاحن والاختلاف الطفيف وهذا ليس فى الجنة مطلقا .

١٤ - كون السنة تقول ماقاله القرآن والقرآن يشرع ماتبينه السنة لأن الكل من عند الله ويعني أن مصدر التشريع الاسلامي واحد هو الله المشرع سبحانه فاما منه سبحانه مباشرة وهو القرآن واما من رسوله صلى الله عليه وسلم عنه سبحانه .

١٥ - الحالة المحزنة الراهنة حيث أصاب الأخوة الاسلامية الوهن فذهبت أيدي سبأ .

١٦ - قوة ترابط الأخوة الاسلامية كامنة في الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ،وسر تغلب الاعداء علينا وتفتيتنا هو في بعدنا عن رسالة السماء .

١٧ - بامكان الأمة الإسلامية أن تصفي حسابها وتراجع نفسها بالرجوع لله فترجع لها كرامتها وذلك لأن القرآن محفوظ .

١٨ - ذم الانقسامات داخل الأمة أحزابا وجماعات لأنها تثمر الوهن كما ذكرت آية الروم في البحث.

١٩ - المسلمون لا يزالون يزدادون وهنا الى ماهو بهم مالم يرجعوا الى الله .

٢٠ - خبث المعصية وأنها تفتك بمعنوية النفس أكثر من فتك الأعداء فتتصور أنه يأتيها الموت من كل مكان .

بعد استعراضنا لأهم نتائج البحث نبتهل الى اللهتعالى أن يرحم واقـــع المسلمين اليوم فقد بعدت المسافة بينهم وبين روح الاسلام وتعاليمه فحل بهم البلاء وانقطع عقد الإخاء وتدخلت أنامل الاعداء فضربت على أوتار الفرقة والعداء فاستجابت الأنفس لذلك النداء القاتل وذلك بعد جهلها بمبادىء دينها الحنيف فاستبدلـت الذى هو أدنى بالذى هو خير ،فتمكن أعداء الله وأعداء البشرية من صب جام غضبهم على كل فرد ينتمى الى تلك الأمة التى شهد التاريخ بأنها صاحبة عدل ورحمـــة ازاء الآخرين عندما كان دورها ولم تفعل شيئا مما تفعله أئمة الكفر اليوم حتى نقـــول أنها تجازى المسلمين بما صنعوا مسبقا ومن خلال تصرف دولة الاسلام أثناء سيادتهـا وتصرف أعدائها أثناء سيادتهم نعلم أن تصرفات المسلمين تحكمها التوجيهات السماوية فهم يعملون بطاعة الله لعمارة الكون ويدعون الآخرين الى ذلك بالحكمة والموعظـــة الحسنة وليس لديهم مطمع آخر .

أما تصرفات أئمة الكفر فانها تحكمها الأهواء والمقاصد الشريرة البريئة مـــن العلم والرحمة والانسانية واضعين نصب أعينهم العداء مسبقا لكل من قال ربى اللـــه لأنهم حالوا بينهم وبين شهواتهم الحيوانية ردحاً من الزمن وقد حان لهم الانتقـــام انطلاقا من ذوقهم الفاسد وسريرتهم السوداء .

فها هى أجساد المسلمين وحرماتهم عرضة للبطش والتكيل على طول الكـــرة الأرضية وعرضها وكل أعداء الاسلام شرقيون وغربيون وان وجدت بينهم خلافات وحروب غير أن كلمة الاسلام اذا سمعوها تناسوا كل شىء جرى بينهم ليتوجهوا الى الخطـــر

الأهم وهو حرب الاسلام وأهله كما هو الحال الراهن وقد وافق هذا العداء للمسلمين استرخاء من المسلمين فى دينهم مما سهل على العدو تنفيذ خططه العدائية بأقل مجهود فها هو العالم الاسلامى اليوم تلوكه أنياب الأعداء وهى فى طريقها لبلعه ثم هضمه والمسلمون وهم فى طريقهم الى الابتلاع يرون أنهم فى عصر النهضة وأنه بالامكان تفادى أى خلاف دون مواجهة هذا فى اللحظة الذى يجرى فيها الخلاف بين أعداء الاسلام فى توزيع البلاد الاسلامية لنفوذهم وان دل على شىء هذا عند المسلمين فانما يدل على أن شمس الاسلام قد أفلت من صدور الكثير وكلما ابتعد العالم الاسلامى عن حقيقة الاسلام كلما ازدادوا خبالا فى أنفسهم وسيابا فى سلوكهم وبعدا عن نصرة ربهم ولن ينتشلهم من حضيضهم الذى وصلوا اليه اليوم الا الذى انتشل المناذرة والغساسنة من عبوديتهم للفرس والروم الى عبادة رب الفرس والروم والكون كله ولما تركوا عبادة الفرس والروم وعبدوا الله وحده جعلهم الله سادة للفرس والروم وما أكثر عبر التاريخ .

وما أكبر مصيبة المسلمين اذا ضيعوا دينهم إنه يترتب عليه ضياع الأخوة الاسلامية لأن الدين هو الذى يفرض تلك الأخوة الكريمة واذا غاب الوازع الدينى غاب كل حساب للقيم الحقيقية وحل بدلا من ذلك أخوة المصالح وهى أخوة هزيلة يذهبها أى أثر وكأنها لم تكن لأن مبناها على الضعف ،وما أسس على الضعف فهو ضعيف بخلاف أخوة الايمان الذى لا تذهب أبدا مادام الايمان موجود وهو الأساس المتين الذى لا يذهب بالعواصف مهما كثرت .

وقد استعرضنا فى الأمثلة على الناحتين مافيه العبرة ولكن أخاف أن يكــون العالم الاسلامى اليوم وصل الى حالة الغيبوبة التى لا ينفع معها نداء ولو بالمكبرات فالى الله المشتكى وعليه التوكل ولا حول ولا قوة الا بالله ،اللهم ان عمارة الكــون بطاعتك فانصر عبادك المسلمين وأيقظهم من السنة التى أصابتهم زمنا طويلا وأن خراب الكون بمعصيتك فدمر أعداءك واعداء عبادك الصالحين الذين لا يألونسنا خبالا فى أى زمان ومكان .

وصلى الله على نبينــا محمد وآلة وصحبه وسلم »،

تم بعون الله البحــــث ـ والله الموفــق »

* * * *

" الفهـــــرس "